جيلنا والترجمة

في كل يوم يحمل البريد الى مجلة الثقافة العديد العديد من القصائد الشعرية والدراسات الادبية والكثير من القصص .

ثمة ظاهرة تقلق ، ولسنا وحدنا نقف منها موقف الاستغراب لان أكثر الصحف والمجلات في بلادنا يعوزها الادب المترجم فهناك الكتب التي تدفعها المطابع كل يوم الى الناس في سائر دول العالم تحمل الجديد المتطور ، والمفاهيم الحديثة .وانه لمن المؤسف أن تبقى هذه الكتب بعيدة عنا رغم ما فيها من أشياء تهمنا على مختلف الاصعدة الفكرية والسياسية والاجتماعية .

وبعد ! ألا يحق لنا أن نحمل المسؤولية لادبائنا الذين أنفقوا القسط الكبير من حياتهم لاتقان اللغات الأجنبية ؛ وماذا يضير هؤلاء لو أنهم كرسوا بعضا من مجهودهم ووقتهم لنقل النتاج الفكري الحديث في العالم . واذا كنا نعترف بأن مجلة الآداب الاجنبية قد غطت حيزا واسعا وحملت قسطا من هذه المهمة بالاضافة الى بعض الشذرات التي تظهر في الصحف اليومية فان ذلك باعتقادنا غير كاف أمام هذا السيل الكبير من المؤلفات الحديثة .

مرة أخرى نهيب بالادباء أن يعيروا المنشورات الحديثة في العالم عنايتهم واهتمامهم ليقدموها زاداً لشباب أمتنا .

رئيس التحرير

الثقافة
فكرية جامعة
تصدر في دمشق

صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكّاش

الادارة والتحرير
ص.ب ٢٥٧٠
هاتف « ٢٢٩٩٨٤ »
دمشق - الجمهورية العربية السورية

REVUE
« AL_SAKAFA »
PROPRIETAIRE — DIRECTEUR EN CHEF
MIDHAT AKKACHE

DAMAS R. A. S.
B. O. P. 2570
Te L. 229984

آب ١٩٧٨

جوانب من حياة الرسول قبل البعثة

الدكتور عبد الباقي قصه

قضى محمد صلى الله عليه وسلم من زهرة عمره اربعين عاما في مكة قبل ان يبعث ، فكان بين اهلها صبيا وشابا وكهلا ، يرعى الغنم ويشتغل بالتجارة ، ويشترك معهم في حربهم وسلمهم ، والحياة اليومية من شأنها ان تكشف عن أخلاق المرء وما فيها من فساد وصلاح ، وقد أدركت ذلك زوجه خديجة حينما بثها ذات نفسه بعد ان لقى الملك لاول مرة في غار حراء ، وقال لها : « لقد خشيت على نفسي » .. فقالت له : والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر.وهو استنتاج طيب يقيس الامور بمقاييس القيم ، ويدل على ذكاء وفطنة لاحد لها ، وماذا يقول اعداؤه فضلا عن اصدقائه في امر ذلك اللقب الذي منحته اياه قريش قبل البعثة ـ الامين ـ وظهر ذلك في سلوكه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها في عدد من المواقف، منها مادفع خديجة الى ابداء رغبتها في الزواج منه ، ومنها حله لمشكلة وضع الحجر الاسود ، ومنها ما يعرفه الجميع من تركه لابن عمه علي بن ابي طالب رضي الله عنه في مكة بعد عزمه على الهجرة ليرد امانات الذين خالفوه وتامروا على قتله ، وسلبوه وسلبوا أصحابه أموالهم ودورهم .

وقد شهد بذلك أعداؤه من ذلك ما قاله النضر بن الحارث في جمع من قريش : يا معشر قريش ، لقد أعياكم أمر محمد ، وعجزتم عن ان تدبروا فيه رأيا لما اصابكم به،ان محمدا قد نشأفيكم حتى بلغ مبلغ الرجال وكان احب الناس اليكم واصدقهم فيكم واتخذتموه أمينا فلما وخطه الشيب وعرض عليكم هذا الامر قلتم ساحر وكاهن وشاعر ومجنون ، تالله لقد سمعت كلامه فليس فيه شيء مما ذكرتم .

وابو جهل عمرو بن هشام أعدى أعدائه يقول له ذات يوم : يا محمد اني لا أقول انك كاذب لكني أجحد الذي جئت به وما تدعو اليه .

ويكفي أن نقدم ما دار بين هرقل قيصر الروم وأبي سفيان وقد كان هذا الاستجواب بعد وصول كتاب رسول الله اليه ، سأله هرقل :

ـ كيف نسبه فيكم ؟

ــ هو فينا ذو نسب .
الى ان سأله :
ــ هل كنتم تتهمونه بالكذب ؟
ــ لا . .
ــ هل يغدر ؟
ــ لا . . ونحن منه في مدة لاندري ما هو فاعل فيها!
ويعقب على ذلك أبو سفيان بعد اسلامه فيقول : انني لم أتهمه الا في هذه العبارة خشية ان يؤثر عني الكذب . ويكفي ما استنتجه هرقل عظيم الروم دليلا في وجه أحفاده من المستشرقين وهي قوله لابي سفيان وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ماقال فزعمت ان لا فقلت : ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . ويكفي رد القرآن على المشركين حكاية لما قاله محمد صلى الله عليه وسلم ــ . . فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ؟ ! ــ .

وهكذا كان محمدا في طفولته من أحسن الناس خلقا ، واصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة ،وأبعدهم عن الفحش القول ودنس الاخلاق بما أعطاه الله من فضل المروءة وجمال الفضيلة وكرم العشرة فكان جواره احسن الجوار وحلمه اعظم الحلم ، فلقبوه بالامين مصداق ما كان عليه من الامور الصالحة المجيدة والفعال الطيبة السديدة ،فقد حفظه الله من عيوب الجاهلية في العقيدة والخلق والسلوك . وقد برىء من سفاح الجاهلية ، فأبوه عبد الله فتى من خيرة شباب قريش ولعله لذلك كان محل اعجاب نساء قريش . . ولعله لقي منهم عناء ولكن تبدو المبالغة واضحة في قول بعضهم من أنه لما تزوج بآمنة لم تبق امرأة من قريش الا مرضت وتكثر المبالغات ايضا فيما قاله كتاب السيرة من ان ــ نورا كان يرى في وجهه كالكواكب الدرى ــ (١) . ويرتبون على ذلك قصصا يضر ضررا بالغا بجوهر السيرة النبوية من ذلك انهم يزعمون أنه حينما خرج مع أبيه ليزوجه امنة بنت وهب مر على امرأة من بني اسد يقال لها رقية ، فقالت له وقد رأت نور النبوة في غرته : لك مثل الابل التي نحرت عليك وقع علي الان ، قال : انا مع أبي ولن أخالفه ويظهر التلفيق في القصة اذ يحاول الراوي أن يلم بأطرافها في فترة زمنية لا يجوز للعقل البشري ان يصدقها فيقول : وكان ذلك يوم الاثنين في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى حيث دخل بها ثم أقام عندها ثلاثة ايام ثم اذا به يمر على المرأة التي سبقت الاشارة اليها فقالت له : ليس لي بك حاجة فقد فارقك النور الذي كان معك بالامس .

والملاحظ أن الراوي يحاول أن يثبت أن هذا النور كان ينتقل في اصلاب اجداد الرسول صلى الله عليه وسلم وكأنه نور حسي ، ولو أعطاه صفة المعنويات لكان اقرب الى الواقع ويبدو أن ذلك نشأ في السيرة من تأثير الاضافات الصوفية . والرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته في غنى عن هذه المبالغات فيكفي ان نسبه في كل اجداده بريء من سفاح الجاهلية (٢)

وما روى من ان هاشما جد النبي صلى الله عليه وسلم كان قد تزوج امرأة أبيه واقدة فولدت له ، رواية ضعيفة فضلا عن أنها خارجة عن عمود نسبه لان واقدة لم تلد جدا له .

وكذلك ما قيل من ان خزيمة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم لما مات خلف على زوجته أكبر أولاده وهو كنانة ، فجاء منها بالنضر وهم ، لان الذي خلف عليها كنانة بعد موت أبيه ماتت ، ولم تلد منه ولعل هذا الوهم نشأ لانه تزوج بعدها بنت أخيها وكان اسمها موافقا لاسمها ، فجاء منها بالنضر . وقد قال رسول الله ــ أنا من نكاح لا من سفاح ــ ولايقبل غير ذلك ممن حاول ان يجد لذلك تفسيرا من قوله تعالى ــ الا ما قد سلف ــ .

وقد كانت آمنة بنت وهب من فضليات نساء قريش واوسطهن نسبا وموضعا والذي زوجها عمها وهيب وهو سيد بني زهرة وكانت في كفالته لموت أبيها وهب وقد تزوج عبد المطلب هو الاخر هالة بنت وهيب هذا فولدت له حمزة وصفية . وقد تمت الخطبة في مجلس واحد لكل من آمنة على عبد الله وهالة على عبد المطلب.

ويروى في السبب الذي دعا عبد المطلب لاختيار بني زهرة رواية لا نميل الى تصديقها ، لانها اقرب الى الافتعال اذ هي تعتمد على القيافة التي يقوم بها حبر يهودي ويبدو أنها من الاسرائيليات لان القيافة من علوم العرب مثل العيافة والزجر والخط ومعرفة الانواء ومهاب الريح أما اليهود فقد كانت عندهم نبوءات كتبهم وانبيائهم . . وهذا كاف في الرد .

وقد علقت به آمنة فما وجدت مشقة حتي وضعته وقد قالت عن ذلك . . وأتاني آت من الملائكة وانا بين النائمة واليقظانة فقال : قد حملت بنبي هذه الامة ، ثم أمهلني حتى دنت ولادتي له فأتاني فقال : قولي اذا ولدته اعيذه بالواحد الاحد من شر حاسد اذا حسد ثم سمه محمدا واكتمي شأنك .

والتبشير بالرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام جاء به القرآن الكريم من الملائكة لامهات الانبياء وآبائهم من ذلك ما بشرت به سارة امرأة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال تعالى ــ **وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ، ومن وراء اسحق يعقوب ــ** ومنه ما بشرت به الملائكة يعقوب بيحيى عليهما السلام وما بشرت به الملائكة ايضا مريم من ولادتها للمسيح عليهما السلام . وقد بشر الانبياء السابقون اللاحقين قال تعالى: ــ **واذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ــ . .**
وقد روى الحاكم وصححه ان أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم قالوا : يارسول الله أخبرنا عن نفسك ، فقال : — **أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام** (٣) .

وقد وردت عدة أخبار حول ارهاصات تشير الى مستقبل ذلك الطفل ، يقول الامام ابن القيم : ان مما جرت به عادة الله تعالى أن يقدم بين يدي الامور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل لها ، ولكن البعض يرى ان المقدمات لا تسبق الوجود للمقدم له .. بل تعقب وجوده .. ومما ورد من ارهاصات قبل مولده — ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة التي حمل فيها — ومنها — أنه لم يبق سرير الملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا — ونحن لا نستطيع أن نثبت ذلك ما لم يقم عليه دليل من كتاب او سنة صحيحة ويرى عباس محمود العقاد انهذه الارهاصات مهما كان شأنها ليس لها قيمة تاريخية لانه بالتأكيد في هذا الوقت الذي حملت فيه آمنة بالرسول صلى الله عليه وسلم لابد وان أمهات كثيرات حملت فيه ، فما لم يكن هناك نص صريح على مدى الصلة بين الحدثين لايمكن اعطاء قيمة تاريخية لمثل هذه الارهاصات (٤) .

وقد ولد صلى الله عليه وسلم رافعا رأسه الى السماء شاخصا ببصره بعد أن وقع على كفيه يوم الاثنين عند طلوع الفجر ، وكان ذلك لاثنتى عشرة ليلة خلون من شهر ربيع الاول عام الفيل — سنة ٥٧١ م — على وجه التقريب .. وكان والده عبد الله قد توفي وآمنة حامل به بعد ان تم لها من حملها شهران ومن يرى بعض المؤرخين أن حادثة الفيل كانت ارهاصا حقيقيا وتوطئة لنبوته ومقدمة لظهوره وبعثته وكذلك يمكن اعتبار انتصار العرب على الفرس في موقعة ذي قار ، وكذلك انتصار الروم على الفرس في ادنى الارض.

وكان مولده صلى الله عليه وسلم بمكة في الدار التي صارت لمحمد بن يوسف الثقفي (٥) ، وروى أن الشياطين كانت تصعد الى السماء ثم تجاوز سماء الدنيا يسترقون السمع ، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن ذلك ، وحرست بالشهب ولعل ذلك هو معنى قوله تعالى : — **وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا**

وكانت أول من أرضعته ثويبه جارية عمه أبي لهب لايام قلائل قبل أن تقدم حليمة الى مكة .. وقد امتنعت حليمة عن قبوله باديء الامر فلما عادت اليه وحملته الى بني سعد بارك الله لها فيما رزقها فأحبته واحبه زوجها واخواته من الرضاع ، وقد اعادته الى أمه بعد نحو سنتين .. الا أنها حببت الى أمه ان تتركه في البادية حتى يغلظ فوافقتها لان مكة كانت قد تعرضت لنوع من الاوبئة فعادت به وفي بداية هذه الفترة كانت حادثة شق صدره صلى الله عليه وسلم التي رآها أخوه من الرضاع وتحدث بها .

قالت حليمة : فو الله انه — بعد مقدمنا بأشهر — مع اخيه لفى بهم لنا خلف بيوتنا ، اذ اتانا اخوه يشتد فقال لي ولابيه : ذلك اخي القرشي قد اخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه، فهما يسوطانه قالت : فخرجت انا وابوه نحوه ، فوجدناه قائمامنتقعا وجهه فالتزمته والتزمه ابوه ، فقلنا له : مالك يابني قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني ، وشقا بطني ، فالتمسا فيه شيئا،لاادري ماهو، فرجعنا الى خبائنا ، وقال لي ابوه : ياحليمة ، لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد اصيب ، فالحقيه بأهله قبل ان يظهر ذلك عليه .

قالت : فاحتملناه ، فقدمناه به على امه فقالت: ما اقدمك به يا ظئر ؟ وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ؟ فقلت : نعم قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي ، وتخوفت الاحداث عليه ، فأديته عليك كما تحبين ، قالت ما هذا شأنك فأصدقيني خبرك . فلم تدعني حتى اخبرتها ، قالت : افتخوفت الشيطان ؟ قلت : نعم قالت : كلا والله فما للشيطان عليه من سبيل ، وان لبني لشأنا .

وروى أن مما هاج أمه السعدية على رده الى امه أن نفرا من نصارى الحبشة سألوها عنه وقد رأوه معها وحاولوا أخذه الى ملكهم (٦).

ولا يطمئن كثير من المؤرخين الى قصة شق الصدر ، ويرونها ضعيفة الاسناد ، والروايات تجمع على أن محمدا أقام ببني سعد الى الخامسة من عمره فلو كان الحادث وقع وسنه سنتان ونصف سنة ، ورجعت به وزوجها بعد ذلك بقليل الى امه لكان بين بين الروايتين تناقض غير مقبول ولذلك يرى بعض كتاب السيرة انه عاد مع حليمة مرة ثالثة .

أما المستشرقون فوقفوا موقفين : موقف يمثله التعصب الاعمى مثل سير وليم موئير ، اذ يرى أن ما أصاب محمدا كان من النوبات العصبية وموقف يمثل الحياد العلمي ويراه درمنجم وهو يرى أن هذه القصة لا تستند الى شيء غير ما يفهم من ظاهر الآليات في مثل قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك » وهو عمل روحي بحت والغاية منه تطهير القلب وتنظيفه ليتلقى الرسالة خالصا ، ويؤديها مخلصا تمام الاخلاص ، محتملا عبء الرسالة المضني (٧) ، وقد تكرر الحديث عن شق

وللرسول صلى الله عليه وسلم رحلتان الى الشام قبل البعثة ، أما الاولى فكانت في رفقة عمه أبي طالب وكان في نحو الثانية عشرة من عمره ويقال ان راهبا عند قرية — الكفو — على بعد ستة اميال من بصرى أسمه — بحيري — رأه في القافلة فعرفه بصفته التي في النبوات الكتابية وجرى حديث حول ذلك بين

الراهب وأبي طالب ، حذره عليه من اليهود وقال انهم يعرفون صفته ، وهذه الرواية مع ما فيها من الصناعة لانفهم معنى لان يستغلها المستشرقون ليستدلوا بها على أن محمداً عرف عن طريق هذا الراهب شيئاً من إخبار أهل الكتاب ، لذا فاننا ينبغي ان نقرأ ما كتب بتأثير هؤلاء المستشرقين ، حتى ولو كان ذلك بأقلام بعض المسلمين بمزيد من الحذر ، فان هؤلاء الذين لهم ولاء للفكر الاوروبي أخطر بكثير على السيرة النبوية المطهرة .

ولا نبالغ اذا قلنا أن الدكتور محمد حسين هيكل وقع تحت تأثير الدراسات الاستشراقية حينما راح يقول : « في هذه الرحلة وقعت عينا محمد الجميلتان — انه يتغزل — على فسحة الصحراء ، وتعلقتا بالنجوم اللامعة في سمائها الصافية البديعة » . ثم يمضي فيقول : « وجعل يمر بمدين ووادي القرى ، وديار ثمود وتستمع أذناه المرهفتان الى حديث العرب واهل البادية عن هذه المنازل واخبارها وماضي نبئها ، وفي هذه الرحلة وقف من بلاد الشام عند الحدائق الغناء اليانعة التي انسته حدائق الطائف وما يروى عنها » .

الى ان يقول — وفي الشام كذلك عرف محمد اخبار الروم ونصرانيتهم ، وسمع عن كتابهم ، وعن مناوأة الفرس من عباد النار لهم ، وانتظارهم الوقيعة بهم — وحينما يدرك أن طفلا في مثل سنه لا يمكن أن يعي ذلك يستطرد فيقول :

— ولئن كان بعد في الثانية عشرة من سنة لقد كان له من عظمة الروح وذكاء القلب ، ورجحان العقل ودقة الملاحظة وقوة الذاكرة وما الى ذلك من صفات حباه بها القدر تمهيدا للرسالة العظيمة — .

ماذا يريد الدكتور محمد حسين هيكل من كل ذلك غير أن يكون مخدوعا بفكر هؤلاء المستشرقين ، ثم ماذا يريد بقوله وهو يتحدث بعد عودته من هذه الرحلة — فاذا جاءت الاشهر الحرم ظل بمكة ، أو خرج الى الاسوق المجاورة لها بعكاظ ومجنة وذي المجاز يستمع لانشاد اصحاب المذهبات والمعلقات وتلتهم أذناه بلاغتهم في غزلهم وفخرهم . وذكرهم انسابهم .. الخ — حتى يقول وهي اكذوبة تاريخية بعد تلك الاكاذيب الادبية الفنية : — ويستمع الى خطب الخطباء ومن بينهم اليهود والنصارى الذين يحدثونهم عن كتب موسى وعيسى ويدعونهم الى ما يعتقدونه الحق — .

أي خلط هذا الذي وقع فيه الدكتور محمد حسين هيكل ، ان معلوماته التاريخية ليست أمينة ، وتلك سقطه لعمري تدفع بمثل هؤلاء الابواق الى مستوى أحط من مستوى البشر .

ولا حياء ففي الرحلة الثانية التي خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تجارة لخديجة وكان في نحو الخامسة والعشرين او قريبا منها يعيد لنا نفس النغمة النشاز فيقول : — وأحيت هذه في نفسه ذكريات الرحلة الاولى — .

الى ان يقول — فلما بلغ بصرى اتصل بنصرانية الشام ، وتحدث الى رهبانها وأحبارها ، وتحدث اليه راهب نسطوري وسمع منه ولعله أو لعل غيره قد جادل محمدا في دين عيسى — (٨) .

وهكذا نجد أن التفكير بهذه الطريقة جعل من بعض الذين درسوا في اوربا عملاء من حيث يدركون او لا يدركون — للفكر الاستشراقي .

دكتور
عبد الباقي علي قصة
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية — كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية — الرياض

(١) راجع السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي جا ص٦٢

(٢) من سفاح الجاهلية أن المرأة كانت تعاشر الرجل معاشرة الازواج فترة ثم يتزوجها ان أراد .. مثلما يحدث الان عند الاوربيين ومنه أيضا أن الرجل كان يخلفه في زوجته أكبر أولاده ، ومنه الجمع بين الاختين .. وان كان البعض في الجاهلية قد عاب الزواج بامرأة الاب وقد كانوا يطلقو نعلى مزاحم أباه في امرأة له — بالضيزن — وأطلق عليه نكاح — المقت — ومن ذلك نكاح الاستبضاع وذلك أن المرأة في الجاهلية كانت اذا طهرت تقول لزوجها : اني سأستبضع من فلان فيعتزلها حتى يتبين حملها من ذلك الذي تستبضع منه .

وكانت المرأة من البغايا اذا حملت احداهن ووضعت حملها دعوا لمن ترددوا عليها القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون به شبهه فالتحق به . راجع السيرة الحلبية ص ٦٥ .

(٣) ولعل ذلك اشارة الى ان أول بقعة من الشام خلص نور النبوة ، وقد قدم اليها مرتين : مرة مع عمه أبي طالب وأخرى مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها ، وبها مبرك ناقته ، وعليها بني مسجد ، وكانت أول مدينة فتحت من أرض الشام في الاسلام وكان فتحها صلحا زمن أبي بكر بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه ، راجع ص ٧٧ من السيرة الحلبية .

(٤) راجع كتاب — مطلع النور ص ٤٠ .....

(٥) وتلك الدر كانت عند الصفا في شعب عبد المطلب من شعب بني هاشم عند الحجون وقد بنت عليها زبيدة زوج الرشيد مسجدا عندما حجت ، فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، ضرب مخيمه بالحجون فقيل له : الا تنزل منزلك من الشعب ؟ .. فقال: وهل ترك لنا عقيل منزلا ؟ وكان قد باع منازل من هاجر من بني فقد بقي في مكة على شركه حتى أسلم عام الحديبية .

(٦) راجع سيرة النبي ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٧) راجع — حياة محمد — للدكتور محمد حسين هيكل ص ١١٠

الصدر قبيل الاسراء ، وهي روايات تحمل نفس المعنى السابق .

(٨) راجع — حياة محمد — ص ١١٥ ، ١٢١ .



الإسلام في الشرق الأدنى

شهدت الجزيرة العربية انبثاق نور الاسلام قبل نحو اربعة عشر قرنا بنزول الوحي على النبي العربي محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، في غار حراء يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المبارك عندما اتاه جبريل عليه السلام ، وقال : له اقرأ فقال : ما انا بقارىء فضمه ضمة قوية حتى بلغ منه الجهد ، وقال : له اقرأ فقال ما أنا بقارىء ، فضمه كذلك ثم أطلقه وقال : لـه في الثالثة (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فكانت هذه الايات اول ما نزل من القرآن .

وعاود الرسول الذهاب الى غار حراء مدة ، وقد سمع ذات يوم صوتا من السماء ، فرفع اليه بصره ، فاذا الملك الذي جاءه اولا بين السماء والارض فرجع الى داره قائلا لزوجه دثروني فنزل قوله تعالى (يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجس فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربكفاصبر) وهذا بدءدعوتهصلى الله عليهوسلم.

انطلقت الدعوة الاسلامية من رحاب الجزيرة العربية لتنداح رقعتها في ارجاء واسعة من المعمورة في مواكب النور وقوافل الايمان التي أيدها الله بنصر من عنده .. ومع مرور الزمن اتسعت رقعة الفتوحات الاسلامية حتى وصلت الى اسبانيا فقامت هناك دولة اسلامية عريقةدامت ثمانية قرون تقريبا ، كما امتدت الفتوحات الاسلامية على يد العثمانيين الى اوربا الشرقية في دول البلقان ويوغسلافيا والصرب وغيرها من البلدان التي كانت تعرف بالشرق الادنى .

ان معظم الناس في هذه الايام باتو يعرفون ولا شك اين تقع منطقة الشرق الادنى والبلدان التي تدخل ضمن نطاقها لكن الامر لم يكن يمثل هذه السهولة قبل مائة عام . فقد كانت منطقة الشرق الادنى في ذلك الحين ، وحتى الحرب الكونية الاولى تشمل كلا من تركيا واليونان وبلغاريا وجزءا كبيرا مما يعرف في ذلك الوقت بالبلقان ، وهو ما يعرف اليوم بيوغسلافيا .

ويوغسلافيا تعتبر اليوم دولة شرقية من حيث انتمائها الى كتلة دول اوربا الشرقية فقط ، غير ان الاهتمام الدبلوماسي بالمسألة الشرقية خلال تلك الحقبة وحتى عام ١٩١٣ كانمركزا علىمنطقة رفرفت عليها راية الاسلام زهاء خمسة قرون ظلت السمات الاسلامية خلالها بارزة ومميزة .

ومع ان جمهوريات « البوسنة » و « الهرسك » و « الصرب » و« مكدونيا » اليوغسلافية قد وقعت تحت يد الاتراك خلال غزو تركيا لاوربا في القرن الخامس عشر ، الا ان « سلوفينيا » وقسما كبيرا من جمهورية « كرواتيا » بقيتا تحت حماية امبراطورية

« هابسبورغ » ، اما جمهورية « مونتينجرو » فرغم خضوعها للحكم التركي فترة من الزمن الا انها تمكنت في النهاية من شق طريقها نحو الاستقلال . اما المسلمون هناك والمنحدرون من الفاتحين الاتراك فانهم يشكلون ما يقارب من ١٢ في المائة من سكان يوغسلافيا حاليا وفي جمهورتي « البوسنة » « والهرسك » يشكل السلافيون المسلمون حوالي ثلث تعداد السكان .

ونتيجة للفتح التركي ليوغسلافيا فان اثار الثقافة الاسلامية هناك ما زالت ظاهرة للعيان وتعتبر امورا مألوفة وذلك من ملابس شرقية براقة محاكة على شكل تنانير طويلة واغطية الرأس ، والاحذية ، والخط العربي الموجود فوق اللافتات والابنية ، والحلي التركية المنقوشة ذات الاحجام الكبيرة ، وجرار الماء المصنوعة من النحاس ، والقرى العربية في جمهورية « البوسنة » بجدرانها المطلية بالجير .

بالاضافة الى هذه الاثار التي تدل معالمها على الحضارة الاسلامية التي تأثرت بها تلك المناطق حقبة طويلة من الزمن ، يستطيع المرء سماع اصداء اسلامية اخرى ، وذلك ان اسمي « عمر » و « مصطفى » منتشران بين السكان بما لايقل عن انتشار اسمي « ميلان » و « برانكو » . كما ان اللغة الصربية — الكرواتية ، وهي اللغة السائدة بين العديد من اللغات اليوغسلافية مطعمة بكلمات تركية . فالكلمة الصربية « شوغام » وتعني « مع السلامة » قريبة من الكلمة العربية « سلام » ، وهي تعبير عن السلام في العربية كما ان اغاني الحب الشائعة في جمهورية « البوسنة » وتدعى « سيفدالينك » مأخوذة أيضا من كلمة تركية تبدأ بالمقطع الاول نفسه « Sev » من الكلمة ذاتها . وكلمة « غفارم » العامية هي التي يقابلها بالانجليزية O.K ، وهي الكلمة نفسها الدارج استعمالها في تركيا وبعض الدول العربية . وكلمة « مرحبا » التي يستخدمونها للتحية والترحيب بالضيف هي الكلمة ذا ها التي يستخدمها العرب للغرض نفسه .

وبالاضافة الى ذلك فهناك أماكن متعددة تحمل اسماء يرجح ان تكون من التراث الاسلامي ايضا ، فبلدة « موستار » على سبيل المثال مأخوذة من الكلمة التركية ذات المقطين « ستاري موست » او الجسر القديم . وبلدة « تكية » هي كلمة تركية ايضا وتعني مكانا للراحة وبلدة « حصار » وتعني تحصين بالعربية وهي مبنية على احدى التلال . واشهر اسم لمكان هو بلدة « سارا جيفور » وتعني قصر في الحقول .

لم يقتصر التأثير الاسلامي في المنطقة على مثل هذه الاسماء فقط ، بل تداخل في صميم التراث الحضاري للشعب السلافي عن طريق الغذاء ايضا . وهناك وجبات معروفة مثل شيش كباب اي اللحم المشوي وبلاف دولماس ، وتدعى احيانا سارماس ، وبقلافا اي البقلاوا التي اصبحت تستخدم حتى في السويد لانواع عديدة من الحلوى المصنوعة بالجبن .

ان « دوبروفنيك » المدينة الساحلية العريقة التي التي عرفت في القرون الوسطى باسم « راغوسا » والتي نجحت في مقاومتها للاتراك ، تحوي اليوم بقايا من التراث الاسلامي ، من ذلك مثلا صناعة السجاد وتتضارب الاراء حول صناعة السجاد هنا فهناك من يقول ان صناعة السجاد هي حرفة قديمة لسكان جمهورية « بوسنة » والراي الاخر يقول بأنها حرفة تعلموها من الاتراك خلال السنوات التي تلت الفتح التركي « لبوسنة » في القرن الخامس عشر .

لم تكن الحياة خلال القرون التي حكم الاتراك فيها المنطقة اسوأ مما كانت عليه ايام حكم الملوك المسيحيين الاقطاعيين لها . ذلك ان الاتراك كانوا أقل وطأة عندما فرضوا جزية وضرائب اقل مما فرضه الملوك والنبلاء ومن ذلك مثلا ان الاتراك كانوا يقبلون دفع الضرائب على شكل خدمات بدلا من اغتصاب ارض او دفع مال كما كانوا ايضا اكثر تسامحا بالنسبة لحرية الاديان وخاصة تجاه اتباع كنيسة الارثوذكس الشرقية الذين سبق وان اقاموا معهم علاقات وصفت بأنها كانت اكثر انفتاحا .

وبالرغم من هذه الحرية التي تمتع بها السكان المحليون في اقامة شعائرهم الدينية فقد كانت هناك قواعد اساسية يتحتم على غير المسلمين اتباعها ومنها : عدم انشاء ابراج للكنائس ، اذ يجب ان تكون مآذن المساجد هي اطول الابنية الدينية في المدينة وعدم ايجاد اجراس في الكنائس لئلا يصرف طنينها انتباه الناس عن المؤذن ، ولا يسمح بالتجمعات المختلطة . وخلاف ذلك فان المواطنين يستطيعون ممارسة طقوسهم الدينية بحرية تامة . وقد اشار الى ذلك الكاتب

الفرنسي « جين بودين » الذي عاش في عام ١٥٧٦ بقوله : كان الملك التركي ..دون تحديد أي ملك معين .. يسمح للفرد بالعيش حسب ما يمليه عليه ضميره كما كان يسمح باقامة الشعائر الدينية للاديان من يهودية ومسيحية واسلامية .

وقد كانت غالبية السكان في معظم اجزاء يوغسلافيا ابان الحكم التركي من المسيحيين . اما في « بوسنة » فقد تمكن السلاف المسلمون من الهيمنة على الحكم وخاصة في مدينة « ساراجيفو » وكانت سيطرتهم على الحكم متينة جدا لدرجة انهم اصدروا مرسوما يمنع الوزير التركي الذي كان مسؤولا عنهم اسميا من المكوث اكثر من ٤٨ ساعة داخل المدينة . وكانت مدينة « ترافنيك » التي تبعد حوالي ٥٠ ميلا هي المقر لاقامة الوزير . واستمر الوضع كذلك حتى عام ١٨٥٠ عندما قام « عمر باشا » وهو مسلم من « بوسنة » بالقضاء على استقلال المسلمين السلاف واخضاعهم للسلطة التركية .

وفي عام ١٨٧٨ وبعد الحرب الروسية التركية وضعت «بوسنة » و «هيرسيجوفينا » تحت السيطرة الاسمية للامبراطورية النمساوية ــ الهنغارية فوقعتا تحت سطوة « البكوات » الذين منحوا امتيازات كبيرة حرمت على كثير من سكان «بوسنة» المحليين، وسرعان ما تضاءلت هذه الامتيازات بعد عام ١٩١٢ عندما انفصلت ولايات البلقان عن الحكم العثماني وشكلت هذه الولايات في عام ١٩١٧ مايعرف اليوم بجمهورية يوغسلافيا . وفي خضم الاحداث التي نجمت بعد الاستقلال واجه المسلمون الكثير من الاضطهاد وحرموا من فرص العمل مما اضطرهم في بعض الاحيان الى الادعاء بأنهم صربيون وكرواتيون فقط .

ان معظم مسلمي جمهورية « بوسنة » يصرون على اسلامهم واحتفاظهم كذلك بوطنيتهم السلافية . وعلى الرغم من ان سكان جمهورية بوسنة المسلمين يشكلون ثلث السكان فقط ، الا انهم فرضوا طابعهم المميز ، واعطوا جمهوريتهم عمقها وتقاليدها ولونها الاسلامي. وعندما يصف اي يوغسلافي شيئا بأنه من بوسنة فانما يقصد انه مسلم وله تراثه الاسلامي .

والمسلمون اليوم هناك يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات الممنوحة للاخرين واصبحوا متساوين في الحقوق والواجبات امام الدوله كغيرهم من المواطنين من الديانات الاخرى فمنهم ، الوزراء ورؤساء مجالس النواب ورؤساء حكومات . كما ان الفائز بجائزة السلام السيد «ميسا سيليموفيك» هو أحد المسلمين وكذلك الفنان المرموق « مرساد بربر » الذي تدين اعماله المشهورة في النحت على الخشب والمطعمة بالنقوش الجميلة ، تدين بشهرتها وذيوعها الى العصر الذهبي الماضي .

ان التأثير الاسلامي في المنطقة يفوق كثيرا النسبة العددية للمسلمين هناك .

يقول السيد « أفرهيومو » وهو احد رجال الدولة البارزين « اننا لانحافظ على الحضارة الاسلامية الماضية ونتعهدها بالرعاية فحسب بل غدت تمثل عنصرا حيا في حياة والهام الاجيال الجديدة » ، وقد

تجلى هذا الخيال في اروع مظاهره في مدينة ساراجيفو حيث شيدت المساجد والمدارس والحمامات والخانات والجسور كتلك التي في فسيجراد والتي اقيمت في عام ١٥٧١ – ١٥٧٧ من تصميم المهندس المعماري التركي – كودز ميمار سنان – والتي قام بتخليدها – افو اندريك – الفائز بجائزة نوبل في كتابه الذائع الصيت – جسر فوق درينا – . ويرتفع هذا الجسر المقنطر احد عشر مترا اما طوله فيصل الى ١٨٠ مترا وهو تعبير صادق للمقدرة المبدعة والمهارة الهندسية الاسلامية التي قامت في تلك الاصقاع . كما ان هناك جسرا اخر بلغ شهرة كبيرة ذلك هو جسر – ستاري موست – الواقع في مدينة – مستار – التي تقع بدورها جنوب غربي – سارا جيفو – ، وهذا الجسر من تصميم اكثر تلامذة – سنان – شهرة ويدعى – هجر الدين – الصغير الذي تروى عنه القصة التالية عندما انتدب هجر الدين لبناء الجسر فشلت مساعيه الاولى و سقط الجسر المقنطر فوق مياه نهر – نيرتيفا – وقد اثار هذا الفشل السلطان واعلن ان محاولة اخرى فاشلة ستكلف – هجر الدين – حياته . ونظرا لعدم تحديد فترة زمنية معينة للانتهاء من عمل الجسر فقد عمل ببطء محاولا الاطالة من عمره هو ، ولكن بناء الجسر انتهى اخيرا في عام ١٥٦٦ . وعندما رفعت الدعائم التي كانت قائمة تحت الجسر وبقى الجسر مكانه ثابتا لم يحدث له انهيار اوسقوط عندها سارع مساعدوه في البحث عنه ليخبروه بذلك . وبعد لاي عثروا عليه يبكي بعد ان حفر قبره بيده ظل هذا الجسر الذي يعد تحفة معمارية قائما منذ اربعمائة عام وحتى اليوم .

ومدينة – موستار – نفسها غنية ايضا بالاثار الاسلامية ، فبالقرب من الجسر يقوم بيت صغير للقهوة يدعونه – كافانا – تزدان جدرانه المنخفضة على الطراز العربي حول جوانب الغرفة . وفي احدى الزوايا يقف الرجال بطرابيشهم الداكنة اللون يصبون القهوة التركية من أحد أباريق القهوة النحاسية التقليدية . وفي السوق يستطيع الزائر ان يراقب الصناع المهرة وهم يضربون ألواح النحاس ويصنعون منها الصواني ويزخرفون الاحزمة المحفورة بالنقوش النحاسية التي تلقى رواجا كبيرا في بغداد . فاذا ما سار في الطرقات الملتوية الضيقة فانه يرى احد المقاهي المكشوفة تقدم اللحم الملفوف بورق العنب وهي من الاكلات الشرقية المعروفة . واذا ما تابع سيره فانه سيرى جامع – كرادجوزبك – الذي تطل مئذنته الشاهقة على وادي – نيرتفا – الاخضر الجميل .

وعلى مسافة بضعة أميال الى الجنوب من سلسلة جبال – برنجي – وبالقرب من المنطقة الساحلية في – دالماتيان – توجد قلعة – بوستيلجي – وهي قلعة تركية يرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر ويجري الان ترميمها . هذا وبامكان الزائرين للمنطقة قضاء ليلة في البيوت الاسلامية التي أعيد بناؤها والتي ترقد على احد جوانب سفح التلة تطل على الوادي الذي يخترقه النهر وتطل من فوق ابراج القرية مئذنة شامخة لاحد المساجد الذي يرجع تاريخ بنائه الى القرن السادس عشر . وفوق قمة التل يرى الناظر بقايا اثار قلعة تركية تقف صامتة تمنح الناظر مجالا واسعا للرؤيا .

وفي مدينة ـ ساراجيفو ـ يختلط الحديث بالقديم حيث تقوم الابنية الحديثة الشاهقة والصناعات الجديدة جنبا الى جنب مع الحوانيت القديمة والسوق التجاري القديم الذي مازال نشطا بتجاره الذين يدفعون امامهم العربات المليئة بمختلف الحاجات كما هو الحال في بعض الاسواق العربية . حتى الاسعار الثابتة التي هي من وضع السلطات المسؤلة قابلة للاخذ والعطاء في هذا السوق الذي تسير فيه التجارة بحرية تخضع لوجهة نظر التاجر نفسه .

تحتضن مدينة ـ سارجيفو ـ اكثرمن ثمانين جامعا شامخة مآذنها في الافق وتظل مرتفعة فوق الابنية المجاورة ومن بين هذه المساجد جامع ـ غازي يوسف بك ـ الذي يعتبر اكبر جامع فيجميع أنحاء يوغسلافيا وقد بناه المهندس المعماري التركي ـ سنان ـ عام ١٥٣٠ . كما تضم المدينةمدرسة ـ كورسملي ـ وهي مدرسة داخلية ، وبيت ـ زارزو ـ وهو مثال لبيوت السكن التركية التي تجمع بين فن العمارة والاناقة ، التي كانت سائدة في القرن السابع عشر . ويزدان هذا البيت الذي كان ملكا لاحد التجار الاتراك بالنوافذ الخشبية المطعمة بالنقوش البديعة التي كانت سائدة في ذلك العصروكانت هذه النوافذمظللة بقناطر خشبية مزركشة لاتقل عنها روعة وبهاء ، وتطل على حديقة غناء وساحة واسعة ونافورة للمياه . هذا البيت الانيق يعكس بكل وضوح جمال طراز الابنية الاسلامية التي كانت سائدة في ذلك العصر .

وفي الصرب ، تسير الاثارالسلامية على نفس النمط وتتبع الى حد ما نفس طرق التجارة التي كانت تتجه من الغرب الى الشرق . وفي مدينة ـ بريستينا ـ عاصمة منطقة ـ كوسوفو ـ التي كانت في يوم ما المركز الرئيسي للباشا التركي وبها نسبة اسلامية لا بأس بها وتفتخر المدينة بوجود جامع محمد الفاتح الذي يعود تاريخه الى عام ١٤٦١ ويعتبر الجامع اجمل واروع مبنى اسلامي في يوغسلافيا وقد بناه السلطان محمد الثاني تخليدا لذكرى سلفه السلطان مراد .

وفي الاتجاه الجنوبي الغربي توجد مدينة ـ برزرين ـ حيث يوجد جامع محمد باشا ويرجع تاريخه الى عام ١٥٦١ ، وقد نقش على مدخله لوحة كتب عليها : « فيمدينة برزرينتحولهذا الجامعالجميلالى روضة »

وفي صحن الجامع يوجد مبنى حجري يحتوي على مختارات من المخطوطات العربية والتركية تزيد على الفي مخطوطة منها واحدة يرجعتاريخها الى عام١٣٢١

هذا ويمكن مشاهدة العديد من اروع الابنية الاسلامية في مدينة ـ سكوبجي ـ عاصمة جمهورية مقدونيا . ومن الروع ما يوجد في هذه المدينة حمامات داوود باشا التي يرجع تاريخها الى عام ١٤٨٤ ، وقد كانت هذه الحمامات حديث اوربا كلها في ذلك الحين . وعناقيد الجص المتدلاة من سقوفها ونوافيرها ، مائة وتستوعب هذه الحمامات التي تمتاز بالزخارف مائة شخص في آن واحد وكانت مختصة للرجال والنساء بينهما جدار ضخم .

وكان لهذه الحمامات شأن كبير عند المسلمين اذ كانت تهيء لهم الوضوءللصلاة . وفي مدينة ـ بوسنة ـ وحدها كان هناك اكثر من خمسين حماما في الوقت الذي كانت اوربا تفتقر فيه الى مثل هذه الحمامات العامة .

هناك بناية أخرى ذات شأن في مدينة ـ سكوبجي ـ وهي الخان ، او المنزل ، وقد امر ببنائه مستشار السلطان سليم الثاني في عام ١٥٥٠ واسمه ـ مولانا مصلح الدين ـ ويشتمل الخان على ساحتين داخلتين وبه شرفتان واسعتان ويضم عددا من الغرف المربعة الواسعة ذات السقوف المقنطرة ونافورة للمياه .

والخان مبني على الطراز الاسلامي ويعتبر واحد من اروع الامثلة على الفن المعماري في اوج عصر الامبراطورية العثمانية .

وبعد ، فتلك هي المظاهر الاسلامية الملموسة التي تركها الاتراك بعد فتوحاتهم لتلك الاصقاع التي تراها العين ، لكن الامور الاكثر اهمية غير الملموسة هي تلك الروح الاسلامية السامية التي انصهرت مع التراث والحضارة لتلك البلاد . ورغم ان التراث الاسلامي غير ظاهر كتأثير اسلامي في الجوهرالاانه مع ذلك قد هذب روح السلافيين بنفس الطريقة التي هذب بها روح العالم المعروف واحدة بالتعاليم الطاهرة والقيم الروحية السامية التي هي من تعاليم الاسلام .

الصيام والتربية

بقلم الدكتور محمد جمال الدين علي عواد
استاذ الفقه العام المساعد بالكلية
الشرعية والقانون في
جامعة الازهر

عن ابي هريرة رضي الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصيام جنه فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل اني صائم مرتين . والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل الصيام لي وانا أجزي به . والحسنة بعشر أمثالها » .

ان رمضان مدرسة الهية تفتح ابوابها شهرا في كل عام يتلقى فيها المؤمنون دراسة عالية غالية في تهذيب النفس وتقويم الخلق وترويض الغرائز لتنسجم مع قانون الاسلام العام .

ولم يفرض الله الصوم على عباده الا ليسمو بأرواحهم حتى تحلق في آفاقعالية ويسمو بأنسانيتهم فترتفع الى مصاف الملائكة الابرار .

وهذه المعاني ينبغي أن تتركز في ذهن كل مسلم وهو يستقبل شهر رمضان حتى يستقبله بقلبه وعقله ويصوم أيامه لا صوم متابعة أو تقليد ولكن صوم المؤمن المحتسب الذي يستوعب المعاني الخالدة التي اودعها الله فريضة الصوم ومن هنا يعبر الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه عن الصوم بأنه (جنة) وهو تعبير رائع يصور حقيقة الصوم ويحيط بأسراره ومزياه جميعها ويتلاقى مع الآية الكريمة التي حددت مقاصد الصوم وأهدافه والتي يقول الله عز وجل فيها :

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

فبالصوم الذي رسم الاسلام حدوده وأوضح معالمه يبلغ الصائم مرتبة التقوى وهي من اعظم مراتب الايمان وأجل مقامات السائرين في الطريق الى الله الطامعين في رضاه .

فالصوم في حقيقة جنة ـ أي وقاية من المعاصي وحماية من الزور والفجور ومناعة لنفس الصائم من أن يلم بها زيغ أو يصيبها انحراف .

كثير من المسلمين يصومون ولكن القليل منهم هم الذين تتفاعل نفوسهم مع حقيقة الصوم ويتجاوب وجدانهم وضميرهم مع معانيه الحية ويتلون سلوكهم بأخلاقه وآدابه — ورحم الله الامام الغزالي الذي كشف عن درجات الصائمين في قوله :

الصوم ثلاث درجات . صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص .

أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهموم الدنية — والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل باكفليه .

والمسلمون حين يصومون. انما يعتبرون انفسهم ضيوفا على الخالق عز وجل والضيف اذا نزل بحضرة عظيم تجمل بما يليق به من ادب وكمال — فجدير بالصائم أن يكف لسانه عن الفحش في الكلام . والخوض في أعراض الناس . فلا يرفث ولا يفعل فعل الجهال ، كالصياح والسخرية والمزاح الثقيل والسفه على عباد الله وتلك امور محرمة في غير رمضان ولكنها في رمضان أشد حرمة واعظم جرما .

وقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم من ابتلى بفاسق تعدى عليه بسباب أو تناول عرضه بكلام قبيح أن يمسك لسانه عن الرد عليه . وهذا من عجيب أمر الاسلام وتعشقه للمثل العليا حتى في مقام الدفاع عن النفس . ينبغي للمسلم أن يكون عف اللسان طاهر القول نظيف العبارة .

فان سابه أحد أو قاتله فليقل (اني صائم) ويكرر هذه العبارة ليذكر نفسه بحق رمضان عليه .

وقد ندبه الاسلام أيضا الى العفو والصفح عن المسيء وبين له ان الله يعوضه عن صبره وحلمه خيرا كثيرا . ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الحرص على سلامة صومهم من عثرات اللسان وهفوات الجوارح ليبقى صافي الجوهر نقي الصحيفة .

فقد جلس اثنان من الصحابة يتجاذبان اطراف الحديث وكانا صائمين فاشتاقا أن يفطرا على لحم لانهما لم يطعماه منذ أمد بعيد فأرسلا رجلا يلتمس لهما افطارا في بيت من بيوت الاصحاب . فكان كلما رجع اليهما قال لم أجد عند احد ما تطلبان : فقالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه و سلم لعلك واجد عنده لحما نفطر عليه فلما غادر مجلسهما قالا : ما لهذا الرجل كلما بعثناه عاد يقول لم أجد شيئا ؟ اننا لو ارسلناه الى بئر مليئة بالماء لغاص ماؤها

وكانت هذه الكلمة قد وصلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن طريق الوحي: فقال لمن أرسلاه: ارجع اليهما فقل لهما : ما حاجتكما الى اللحم وقد اكلتماه قريبا ؟ فلما ذكر ذلك لهما قالا — وقد أخذ منهما العجب كل مأخذ — والله ما أكلنا لحما منذ كذا وكذا ثم اسرعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله . أرسلناه نطلب عندك لحما نفطر عليه فقلت : اننا قد أكلناه قريبا : والذي بعثك بالحق ما طعمناه منذ مدة طويلة . فقال : بل اني ارى خضرة اللحم في أفواهكما . لقد اكلتما لحم أخيكما حين قلتما فيه ما قلتما .

ومن هنا ندرك ان الصائم الذي يمسك عن الشراب والطعام ولا يمسك عن المعاصي والآثام — قد خسر خسرانا مبينا يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم (من لم يدع قول الزوروا لعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) .

ورمضان في نظر الاسلام يعتبر فرصة سانحة لشيوع الفضيلة وانكماش الرذيلة وذيوع معاني الرحمة والخير والكمال وهزيمة الشر وانحدار الشيطان وضعف سلطانه .

ففي الحديث الشريف — اذا دخل رمضان فتحت ابواب السماء وغلقت ابواب جهنم وسلسلت الشياطين — .

وأعظم ما تتميز به عبادة الصوم (الاخلاص) فالصوم عمل موكول الى ضمير الصائم لا يخفر اليه الا وازع من باطن النفس واعماق الضمير ولا بد ان يصدر الصوم عن خشية لله ومراقبة لعظمته واستحضار ليهيبته — والا ففي استطاعة الانسان ان يخلو بنفسه في اليوم الشديد الحر فيعب من الماء البارد أو يأكل مايشاء ثم يتظاهر أمام الناس بالصيام.

ولعل في ذلك مايكشف لنا عن الحكمة في تخصيص الصوم من بين أعمال الانسان بأنه لله مع أن العبادات كلها لله سبحانه وذلك لما في الصوم من تجرد القصد وخلوص النية (يترك طعامه وشهوته من اجلي . الصيام لي وأنا أجزي به) وكل حسنة تخضع لقانون الجزاء العام في الكلام الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم فالجزاء عليه خارج عن دائرة الحدود والقيود — والصائم اقرب ما يكون الى ربه وهو صائم فلما جرت عادة الناس بتقريب ذوي الروائح الطيبة والميل الى مخالطة حاملي الزهور والعطور فان الله تبارك وتعالى يرضى عن الصائمين ويقربهم اليه فهو أزكى عند الله واطهر ولهم من ثوابه ورضوانه النصيب الاوفر . وان خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك — فالصوم اذن اعلاء للنفس وصفاء للروح ونور يغمر الوجدان والشعور ورمضان شهر القرآن شهر الخير والبر والطهر وصدق الله في محكم كتابه اذ يقول : (وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون) .



المسفرة المتحجبة

الشاعر محمد حسن فقي

فكرت في هذا الوجود وأهله — وذكرت ماضي الحبيب .. وحاضري

فاذا السعادة والشقاء تلاحما — وتمازجا في نهيتي ومشاعري

* * *

أجد الحياة تريح نفسي تارة — وتثيرها اخرى اثارة ماكر

فألوذ بالتفكير فيها حائرا — لكنها تلهو بحيرة حائر

* * *

وأحس ان جوانبي مكتظة — بمباذل .. ومرازيء .. ومأثر

ولربما جفلت ببعض مباهج — كوميض برق بالدجنة عابر

* * *

أأنا الوحيد بكل ما شقيت به — نفسي ؟ وما يجتاح كل خواطري ؟

أم ان ذاك على الانام ضريبة — مقدورة .. من حاضر او غابر .. ؟

لحسدت من شجني ذوات مناسم — وذوات انياب لها واظافر



وذوات اظلاف ربضن بمربض — وسعن منه لها ذوات حوافر

ولقد اندد بالحياة واثنى — بوفاء احرار بها •• وحرائر

* * *

فهم الاساة لكل جرح غائر — وهم الحماة لكل جد عاثر

تحلو الحياة – على مرارتها – بهم — وتهون كل شدائد ومخاطر

* * *

انجيتني في النائبات •• ألم أكن — لولاك بين غياهب وحفائر ؟

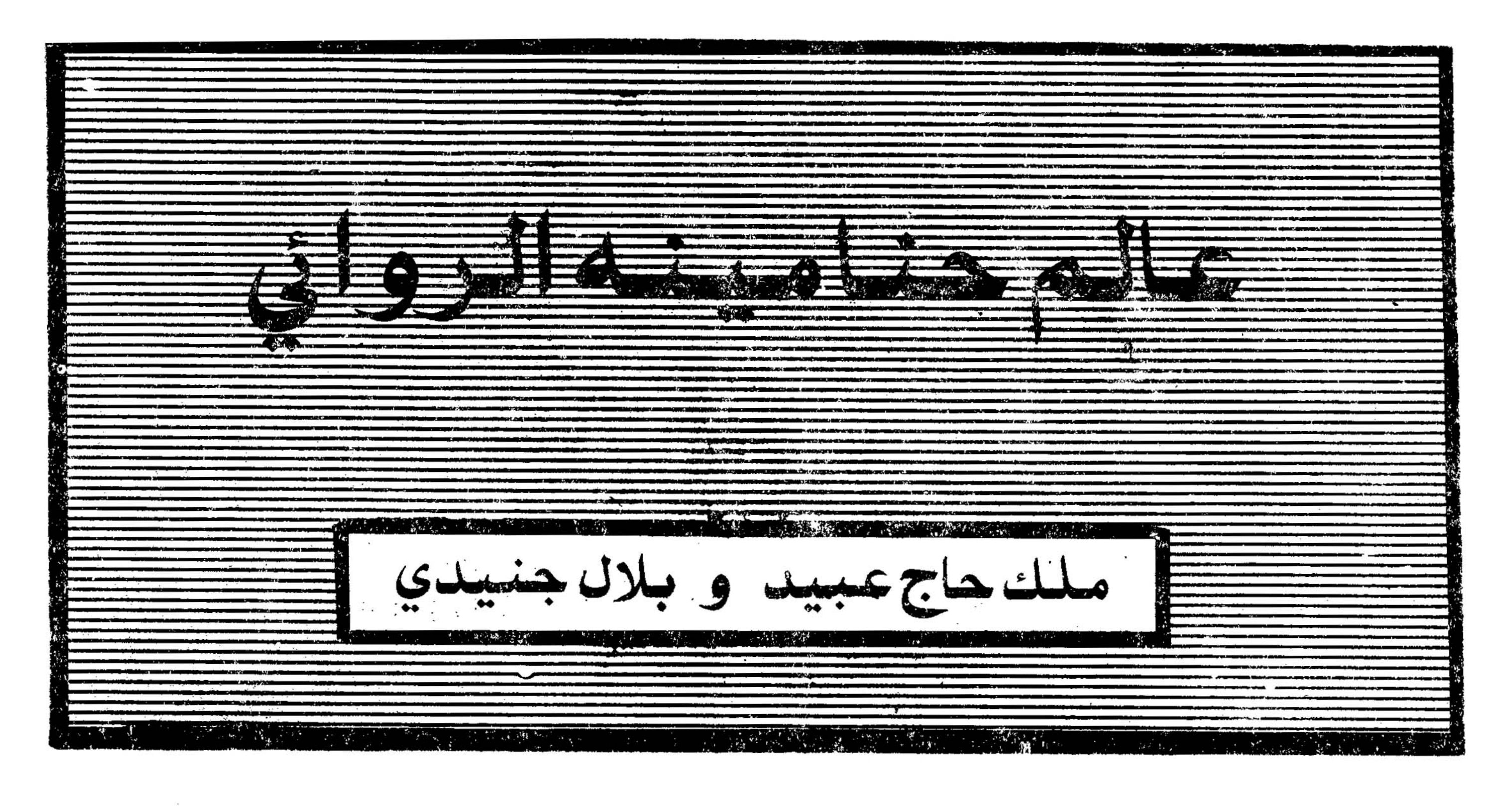
ان ابتسامتك الوضيئة بين أضالع — أجت بها •• كالنار بين مجامر

* * *

وأحالت القفر اليبيس حدائقا — غنا •• حلت بجداول ومخاضر ••

حتى اغتفرت • وقلت ان مكاسبي — بك عوضتني عن عظيم خسائري

لا • لم اكن لولاك •• لولا فتنتي — بك للحياة واهلها بالغافر



في اللاذقية سنة ١٩٢٤ ولد حنا مينا العائلة فقيرة مهاجرة من مرسين وبعد ولادته مرض أبوه فغادرت العائلة اللاذقية الى لواء اسكندرون حيث دخل حنا المدرسة فلما نال الشهادة السرتفيكا تقلب في مهن متعددة ليعول أسرته وفي سنة ١٩٣٩ حدثت مأساة اللواء فغادرت العائلة الى اللاذقية حيث افتتح حنا دكانا للحلاقة وكان زبائنه من الفقراء والبحارة فاختزن في اعماقه كثيرا من الحكايات والاساطير .

أخذ مينا ينشر بعض قصصه في الصحف الدمشقية ثم سكن دمشق وهناك بدأت شهرته ككاتب قدم لنا مجموعة من القصص كانت على التوالي :

المصابيح الزرق ـ الشراع والعاصفة ـ الشمس في يوم غائم الثلج يأتي من النافذة ـ بقايا صور ـ الياطر .

وفتح لنا ابواب عوالم واسعة غنية وقدم لنا شخصيات ونماذج مختلفة متنوعة بأساليب فنية متدرجة فمن سرد ووصف وتحليل الى غوص في أعماق النفس أو المجتمع الى تحليق في عالم الحلم والشعر وقد يستخدم المنولوج الداخلي وقد يستخدم المزاوجة في التعبير عن الانا والعالم الخارجي او عن الانا والاخر في واقت واحد .

ولكن رغم تعدد الاساليب وتنوع الشخصيات والاجواء فأننا نتعرف عالم مينا بملامحه المتميزة المتفردة التي اطلعنا عليها من رواياته الاولى وان كان هناك اختلاف ففي زوايا النظر ويبقى لنا أن نجلو هذه الملامح ماذا أضاف عم تخلى كيف فسر معطيات الواقع كل هذا عبر خط تطور عمله الادبي

التاريخ عند مينا :

عن التاريخ القديم لم يقل مينا شيئا لكنه رسم لنا بدقة ملامح المجتمع السوري بعد الحرب العالمية الاولى نسمع صوت التاريخ منذ المصابيح الزرق ليس التاريخ الوطني لسورية ولكن صوت حدث تاريخي كبير هز العالم بحرب كونيه جرت سحبا سوداء دامية على أرضنا العربية . ومينا يتعامل مع التاريخ بحذق فالتاريخ ليس اطارا زمنيا فقط ولكنه مفاعل ودافع للاحداث يهيىء الظروف ويؤزم المواقف ويملي ردود الفعل . لقد أراد أن يسلط الضوء على القوى التي تحاول أن تصوغ التاريخ وفقا لمصالحها فكشف لنا التحالف القائم بين الاستعمار والاقطاع ورأس المال وأخذ بيد الذين يريدون ان يكتبوا التاريخ لمصلحة الجماهير وبين القوتين يدور صراع عفوي حينا واع حينا آخر .

تبدأ القصة صباح الثالث من ايلول عام ١٩٣٩ عندما يذهب فارس بطل القصة الى عمله فيجد أن لا عمل له لان صاحب المتجر العسكري الفرنسي . مطلوب للحرب ونرى مظاهر الحرب الزجاج المطلي بالازرق الشوارع المعتمة الاسعار المرتفعة اختفاء المواد الغذائية .

ومع الحرب العالمية الثانية تتلامح ظلال سفر برلك القاتمة يرويها الاب لتشيكل الخلفية القاتمة للمأساة التي ستولد ·

المظاهرات تقوم طلبا للرغيف وللحرية · الحرية مفقودة والرغيف مسروق سرقه المستعمر واجهز على ما تبقى منه . المختار وأعوانه الامتداد الطبيعي للمستعمر وتنتهي القصة بنهاية الحرب وتخرج المظاهرات تطالب بالاستقلال في الشراع والعاصفة ـ نواجه الحرب مرة ثانية ليس في الحي الشعبي ومطالبه الحياتية اليومية ولكن مع وارثي الاقطاع الذين حاولوا تزعم النضال الوطني فوقعوا في تناقضات الزعامة ومحاولة استقطاب الجماهير حولهم هذه القوى المتنافسة نتعرف اليها من خلال الطروسي بطل القصة الذي يتردد طويلا في أمر انتمائه أيتشيع لالمانيا كما فعل الكثيرون في الوطن العربي ويعتبرها المنفذ من براثن فرنسا ، أم يتعصب للكتلة الشعبية ضد الكتلة الوطنية ·

لكنه لا يلبث ان يختار طريقه الوطني الخاص . طريق النضال ضد المستعمر وضد النزعة الانفصالية التي زرعها المستعمر وتبناها سليمان المرشد في محافظة اللاذقية الوعي هنا صورة غامضة غموضها في واقع الناس في تلك الايام .

في الشمس في يوم غائم يقترب الوعي من النور لنشاهد الجد الذي يعمل في خدمة الوالي التركي بينما يتابع الاب هذا الخط فيعمل سكرتير للمستشار الفرنسي وتبدو صورة جديدة للتمرد ليس تمرد الجائعين في المصابيح الزرق على مستغليهم ولكن تمرد ابن سكرتير المستشار ضد ابيه وعائلته وتقاليدها وزخارفها وانجذابه الى صف الفقراء ممثلين في الخياط رمز الوعي الثوري لهذه الطبقة .

ونشم عبق التاريخ في ذكريات الاب عن أمجاد الجد أثناء انهيار دولة العثمانيين وفي ذكريات الفتى واخته عن الثورة الفرنسية واليعاقبة وفي تزوير المستعمرين ومدارسهم للقيم الثقافية الوطنية باعتبارهم سلميان الحلبي مجرما لقتله الجنرال كليبر ثم في الظاهرات التي خرجت مطالبة الفرنسيين بالجلاء عن سوريا ..

وننتهي من الاستعمار في ـ الثلج يأتي من النافذة ـ لتبدأ قصتنا مع أعوانه الذين عمدهم قبل ان ينسحب يصطدم بها الفكر الثوري الصحفي ـ فياض ـ فيهرب الى بيروت ولكنه يجد ان الحرية هناك مزيفة وان الهرب لا ينفع ونضال الكلمة لا ينفصل عن نضال الفعل الهرب كان خطأ والتجربة علمته ان يصحح خطأه .

في ـ بقايا صور ـ على الرغم من ان القصة تبدو وكأنها تداعيات حرة لحياة عائلة فقيرة متشردة الا ان الكاتب لم ينس ان يحدها باطارها الزمني الحكم العثماني لسوريا وماجره من البلاء والفقر والبؤس وساعد في ترسيخ دعائمهم الاقطاع المتحكم بمصائر الناس وبداية الزحف الغربي على الوطن العربي متمثلا بالصناعة التي بدأت تغزوه .

الحضارة الغربية واثرها في البيئة السورية :

دخلت الحضارة مجتمعنا العربي فما كان تأثيرها في هذا المجتمع ؟ لعل هذه النقطة لم تكن موضع حديث في قصص مينا ولكنها ظهرت مرتين مرة في التحرير الصناعي وماسببه للفقراء من مآسي عندما فقد حريرهم الطبيعي سوقه وهو مصدر رزقهم الرئيسي ـ بقايا صور ـ .

ومرة ثانية في حلول قوارب الصيد الحديثة مكان زوارق الصيادين وما احدثته من بطالة ـ المصابيح الزرق ـ ولكن لم يغفل كاتب يصور المجتمع السوري بين الحربين ما كان للتقدم والحضارة من آثار ايجابية وسلبية وابراز طبقة جديدة الى مسرح الاحداث .

البيئة الشعبية :

ما كان مينا في قصصه مؤرخا فلديه يمتزج الحس التاريخي بالرؤية الاجتماعية الثورية متخذا لقصصه طابع الواقعية التسجيلة حينا. كما في قصصه الاولى حيث يقدم كثيرا من صفات البيئة وملامحها الخاصة ولونها المحلي وعاداتها وتقاليدها واوهامها وحكمها وقناعاتها .

ومينا ينجح حينا في رسم لوحات غنية مكملة للحدث مضيئة للشخصيات وحينا تكون هذه اللوحات مقحمة حرصا على اظهار الواقعية . في كل رواياته هناك البيئة الشعبية . المقهى والخمارة والبحر والعمل وما يجرى هناك من كلام طيب او بذيء ومن مشاجرات بسبب او بغير سبب ومن افعال تعكس الطبيعة المتوفرة لهؤلاء الناس .

في بقايا صور نرى النظرة اللانسانية المرأة . امرأة يعتدي عليها اللصوص فيطلقها زوجها وينبذها المجتمع عقابا على ذنب لم ترتكبه .

ونرى المواسم والنذور ونجد التخلف والجهل ومعالجة الامراض بالرقى والتعاويذ والحركات البهلوانية فالمرض ليس أكثر من عدو مختبىء في الجسم وعلى المعالج ان يطلق الرصاص على دريئة توضع في مكان الالم فيخرج المريض معافى .

في الشراع والعاصفة نطلع على حياة البحر وعمال الميناء والبحارة والصيادين والمهربين همومهم وافراحهم اغانيهم وهم ينزلون المراكب الجديدة الى الماء فيطلقون اصواتهم تيمنا .

المركب مركبنا والخام جوانحنا
والريح تدفعنا والبحر يحملنا
والمولى حارسنا والمركب فرسنا
هيلا . . هيلا

ويطلقونها تشجيعا لانفسهم في مواقف الشدة والخوف كما في ذهابهم في البحر لانقاذ زميل مفقود وسط عاصفة مجنونة .

ونسمع المواويل الحزينة في الشتاء واغاني الفرح في الربيع ــ بقايا صور ــ :

يارايحين على حلب حبي معاكم راح . . . .

القصص والحكايا والاساطير :

على ان اهم من الاغاني الحكايا التي يكثر فيها القديمة كحكاية الزير والواردة في المصابيح والقصص الديني في بقايا صور واساطير البحارة في الشراع والعاصفة وحشد الحكايا والاساطير في ــ الشمس في يوم غائم ــ .

هل استطاع مينا ان يوظف كل هذه الامور لصالح القصة ؟

قصة ــ الشمس في يوم غائم ــ تبدأ باسطورة المرأة التي في المعبد والتي سحرت الشاب فكل يرقص لها حتى خرجت من الصورة لم تكن هذه الاسطورة مدخلا للقصة ولكن فلسفة لها ومحركا لاحداثها . ولكن معظم حكايا واساطير وامثال قصص مينا لا تقدر ان تندمج في نسيج القصة انها محطات يقف عندها الكاتب ليثبت رأيا شخصيا او ليسجل خصائص البيئة .

تسجيل خصائص البيئة ضروري ان كان لا يقطع الحدث ولا يقضي على وحدته ، ولكن هذا غير متوفر عند مينا احيانا تلح عليه الحكاية فلا يستطيع ان يتخلص منها ولو اساء بذلك للحدث كاللقاء الذي تم بين الفتى وساكنة القبو في ــ الشمس في يوم غائم ــ .

فلقد اوقف الحدث المتأزم وروى لنا حكايتين عن صداقة الرجال وعن امرأة قتلت حبيبها فجعلنا ننساق وراء محاولة تفسيرهما تاركين الحدث الاصلي شاحبا معلقا وتلح عليه فكرة ان القوة لا تكون بالمظاهر والادعاء فيملي علينا حكاية صراع الديكة مقحما اياها بصورة فجة لا معنى لها . ثم تأتي قصة ــ الزير ــ ولا ادري كيف البسها للمرأة ساكنة القبو ، كانت تحاور الفتى ــ صدق الخياط . . ولكن انا في هذا القبو في حياتي امنهم اكثر منه في الرجال ولا اسرع في الحكم اريد علامة .

قالت اليمامة لعمها الزير سالم : نعم ياعماه لدي علامة امي جليلة ذهبت الى خالي جساس وهي حامل قتل والدي كليب وهي حامل فاذا كانت قد

وضعت غلاما فلا بد ان يكون اخي واذا كانت قد اسمته الجرو فلا بد ان يكون هو واذا كان هو فلا بد ان يعطي العلامة لاخته اليمامة ص – ٢١٨ .

هل خطر هذا الكلام ببال المرأة حقا في مثل هذا الموقف بالذات . ؟

حكاية – الزير – تبدو اكثر ما تكون ملائمة لسهرة في حي شعبي في ليالي الشتاء الطويلة حيث يسلون انفسهم بالسمر والحديث كما في – المصابيح الزرق – اما في القصة السابقة فلا مكان لها .

الروح المسيحية :

ترى المسحة المسيحية تتلامح في جميع قصصه أقوال السيد المسيح ، تعاليم الدين وطقوسه قصص الكتاب المقدس ، ولعل براعة مينا تكون في مده الجسور بين مافي المسيحية من روح انسانية وغفران للخطايا ومساعدة للانسان على التجدد وبين مافي عقيدة الكاتب الاجتماعية من تفاؤل وايمان بالمستقبل . ولعل الورع الذي عرفناه عند الام في – بقايا صور – او لعل قراءة الكاتب المتأنية للكتاب المقدس هي التي وسمت قصص مينا بالسمة المسيحية .

هل وفق الكاتب في ابراز اثر الدين في البيئة التي عرض لها في قصصه ؟

ما من شك في ان هذا الاثر جزء من البيئة ويجب ابرازه لانه مهم في واقعية الحدث .

في – بقايا صور – يغيب الاب وتكثر ليالي الخوف والمطر وتبدأ الام تحكي لابنها ما تريد ان تقول لنفسها عن الطوفان وأبينا ابراهيم ، والموت وما وراء الموت والصلاة التي تجلب النوم وامام دود القز الذي هو الامل ومصدر الرزق تقف العائلة تصلي وتتضرع وكان هذا طبيعيا مناسبا لنقلنا الى الاجواء التي كانت سائدة والتي تساعد الناس على تحمل البؤس والصبر عليه في – الشمس في يوم غائم – وهي قصة تعتمد الرمزية والشفافية الى حد كبير نرى الروح الدينية تتغلغل بصور رقيقة في القصة فتكاد بعض مقاطع الكتاب المقدس تندمج اروع اندماج في احداث القصة ، الالحان المنبعثة في الكنيسة اللاتينية وما تخلفه في نفس الفتى من نشوة علوية ، الشموع التي تنذرها الاخت ، مركبة ايليا الصاعدة في السماء بعث اليعازر قول السيد المسيح – اقرعوا يفتح لكم – في هذه القصة استطاع ان يوظف معطيات القصة الدينية ، بشكل رائع يتلاحم مع الحدث حتى ليبدو جزءا منه ولعل المشهد الذي نلتقي فيه بضابط الايقاع الواقع تحت تأثير الخوف المتنع لسنوات عن العزف هذا الانسان المستلب المذعور يثيره لحن بارع وتصفيق جمهور متحمس يطلب عزفا ورقصة ، فيعاوده شوقه للعزف ، يعزف ويعزف وينسى نفسه ، ينتزع اعجاب الجمهور فيكون هذا الهتاف المؤثر ، يامرتا اخوك لم يمت بل هو نائم ثم اتجه الى القبر وصاح اليعازر لك اقول قم ، قام اليعازر فك الاربطة عن يديه ورجليه ومشى بين الجموع ومشى في الحلقة ايقاع خذ بنا يا ضابط الايقاع .

وفي – الثلج يأتي من النافذة – مقابلة ساخرة بين البركة التي احاطها السيد المسيح في خمرة عرس قانا الجليل وبين النحس الذي لحق بالاسرة من جراء اشتغال خليل بالسياسة .

ولكن وجريا على عادة مينا في جعل القصة حشدا للمعلومات نراه احيانا يحتال لادخال القصة الدينية حتى ولو لم يكن لها علاقة بالحدث في – بقايا صور – تنسحق الام عندما تعرف ان ابنتها لن تمكث في البيت غير تلك الليلة ثم تصبح خادما في بيت المختار ، فخطر ببال الكاتب قصة بيع يهوذا للسيد المسيح فيحاول اقحامها في الحدث ويروح يحاول تصيد خيوط الربط تصيدا الا انه لا يفلح .

انتقالا من هذه الجزئيات الفنية الى المنطلق العام فالذي لا شك فيه ان الدين كان له اثر كبير في فقد الخياط هذه الصلة وبقي في حدود الرمز الذي تحمل الناس للصعوبات ايمانهم بالمستقبل تفاؤلهم وقد ابرز بشكل واضح .

الحي الشعبي :

الحي الشعبي هو مسرح قصص مينا لان معظم شخصياته من الفقراء في هذا الحي تنمو الاحداث

وتتنفس الشخصيات ولذلك كان تصوير هذا الحي وابراز معالمه الشكلية وتأثيره في الاحداث والشخصيات صفة تميزت بها قصص مينا .

احياء اللاذقية اناسه عاديون فقراء منهم اللحام والفران وصاحب المطعم وصاحب المقهى وعامل البناء والسمان من هذا الحي تنطلق المظاهرات وبأهله يتجسد الصراع ضد الاستعمار والفقر في ـ الشراع والعاصفة ـ المجتمعون في مقهى الطروسي قادمون من هذا الحي صيادون وعمال ميناء فقراء وبائعو خضراوات . وهو ينتقل معهم الى حيهم ليصور حياتهم بيعهم وشراءهم ومساومات الفقراء ومثل هذه الامور التي تعين على واقعية الحدث وتساعد في تلوينه في ـ الشمس في يوم غائم ـ تنتقل الاحداث من مقر الفتى الى الحي حيث الخياط والحلاق والمرأة ساكنة القبو وفقراء الناس .

وفي ـ بقايا صور ـ يكون الريف وبيوت الفلاحين المتباعدة وحواكيرهم هي مسرح القصة .

احيانا كان الكاتب يبرع في تصوير الحي الشعبي ويبين الصلة الوثيقة بين الانتماء الى هذا الحي والانتماء الى الثورة كما في ـ المصابيح الزرق ـ حيث الفقراء هم الذين يقودون المظاهرات ضد الاحتلال واحيانا يحشر الحي حشرا ويقدم عرضا مسهبا مفصلا لكل ما يجري في هذا الحي ويكون أقرب للتسجيل منه الى التلاحم مع احداث القصة كما في ـ الشراع والعاصفة ـ في المقطع الخامس من الفصل الثاني بما فيه من سرد لاحاديث خليل العريان في الخمارة وفي سهراته مع جيرانه فلقد اقحم هذا الفصل على القصة ولم يستطيع ان يقدم او يؤخر شيئا .

المعلم في روايات مينا :

في روايات مينا هنالك بشكل عام بطل ومعلم لهذا البطل ولنبدأ بالمعلم في قصة ـ بقايا صور ـ والتي هي ذكريات الطفولة البعيدة الغامضة المجروحة حيث الوعي لا يكتمل لدى الشخصية الاساسية ولذلك لا تبرز شخصية واضحة متكاملة ولا يبرز معلم لهذه الشخصية .

اما في بقية القصص فالمعلم موجود ، موجود يساعد البطل على تلمس طريقه وبما يساعد الكاتب على طرح افكاره بشكل غير مباشر .

في ـ المصابيح الزرق ـ المعلم هو عبد القادر عامل دباغة سابق يقتني كتبا سرية من اجلها عرفته كل السجون اشترك في مشاجرة امام فرن ، وتحولت المشاجرة الى مظاهرة تهتف ضد الاستعمار والاستغلال وهناك التقى بفارس بطل القصة وعلمه الكثير ، المقاومة من خلال السجن - الاضراب عن الطعام ، ايصال الخبر الى الصحافة وقد وصلت الجرأة بعبد القادر ان ضرب مدير السجن ، انه رجل يقرن بين الفكر الثوري والعمل الثوري لذلك تبقى كلماته في الذهن :

ـ كن اقوى من الموت تكن اقوى من الخوف ، لا تصدق ان الانسان يولد شجاعا او جبانا الايمان هو كل شيء ، انا مثلا كنت اخاف اما الان ..... ـ فلقد اصبح النزيل الدائم للسجون في ـ الشمس في يوم غائم ـ المعلم هنا خياط يملك القدرة النفسية والعاطفية على جذب الناس انه يبشرهم بان الشمس محتجبة ولكنها ستظهر هو خياط وموسيقي وفي الحقيقة محرض موسيقاه وتعاليمه تدخل الى كل قلب .

يكتشف التمرد في نفس الفتى يرى فيه بذرة وعي قد تنمو فيما او تعهدها فيقول له :

ـ انت زهرة في حقل الشوك ويعلمه الرقص ويعلمه الرفض والفعل الارض بحاجة الى من يدقها لتخرج ما بأحشائها يقول للفتى وقد رأى اتقانه الرقص :

ـ هذا هو الرقص الحقيقي تعلمته في بلاد بعيدة سعيدة ونذرت نفسي لتعليمه الاخرين احيانا انجح واحيانا افشل والاستمرار في النهاية يقرر كل شيء انا مستمر سأعلم الرقص مادمت حيا وسيتعلمه كثيرون سيدقون بارجلهم ارضنا النائمة ابنة الكلبة ليوقظوها وستستيقظ الباب الذي يقرع يفتح والرصد حين تعالجه بالحركة اللازمة يفك : علم الفتى الايمان بارادة الانسان وقدرته الخلاقة لا شيء مستحيل المرأة خرجت

من الصورة لان عاشقها رقص لها باخلاص والمستقبل سيكون جميلا اذا اخلص له الانسان .

ـ في الشراع والعاصفة ـ المعلم هو الاستاذ كامل مثقف من الطبقة الوسطى يعلم ان المانيا اسوأ من الحلفاء ويبشر بروسيا يجتمع بالعمال ليكون لهم نقابة ويشرح لهم مواد قانون العمل .

في ـ الثلج يأتي من النافذة خليل هو المعلم وهو عامل مثقف فضل ان يبقى عاملا على ان يوظف في جريدة ، ماضيه مشبع بالبطولة منذ كان في لواء اسكندرون كان يجتمع مع رفاقه في كهوف جبلية ليقرؤوا كتبا سرية جرح في مظاهرة ضد التتريك ثم نزح الى لبنان ترأس اجتماعات العمال . نظم الاضراب فصل من العمل جاع هو واولاده ولكنه لم يهن انه يحمل صفات تؤهله ليكون معلما وله من تجاربه وصلابة مواقفه ما يجعل من يستمع اليه ويحترمه ، وبهذا الاحترام لم يجد فياض المثقف الثوري غضاضه من ان يعمل بتعاليمه .

كان عليك ان تصمد اكثر انت لم تفكر بهذا لانك لم تجد الوقت للتفكير كنت مستعجلا الخروج والتجاة بنفسك وانا الذي كنت اقرأك واعجب بك كم تساءلت هل يكتب ما هو مستعد للتضحية في سبيله ام ان الكتابة لا تكلفه شيئا في الوقت الحاضر : ص٣٦

وفي موضع اخر يقول : التربة هي المحك فقبل التجربة جميع الناس مناضلون وابطال ص ٣٨ .

بهذه المقابلة بين الصحفي الهارب والعامل النقابي يوضح بين من يقول وبين من يعمل .

ولنتجاوز قصة الباطر لنعود اليها بعد قليل .

فما هي طبيعة هذا المعلم ومدى واقعيته وتأثيره في مجرى الاحداث ؟

ان عبد القادر وخليل مثالان حيان واقعيان جاءت بهما طبيعة الاحداث منطقيان ليس فيهما افتعال قادران على التأثير من خلال ما يريد الكاتب ان يقول وما قاله الكثيرون ـ ان من لا يقرن قوله بعمله لا يصدقه احد ـ وهذا هو السبب الذي يجعل شخصية عبد القادر وخليل حيتين متحركتين ناضجتين لكن الاستاذ كامل في ـ الشراع والعاصفة ـ فقد حشر حشرا في ظروف لم يكن لمثله فيها وجود فجاء شخصية باهتة سمجة .

اما الخياط في ـ الشمس في يوم غائم ـ فلا هو صاحب الخمارة لظنه بان الخمار قد سلبه الكنز يكون رمزا ولكن الرمز بحاجة الى صلة بالواقع وقد فقد الخياط هذه الصلة وبقي في حدود الرمز الذي سنرجع للحديث عنه . .

ولنعد الى الباطر : زكريا المرسنلي بطل ام معلم أم معلم وبطل ؟ زكريا هذا الجاهل البدائي العربيد الشهواني المتطرف في نزواته الصياد قاتل الحوت الذي أوشك ان يقتل ابنه من اجل عاهر وقتل أو كاد يقتل صاحب الخماره لظنه بان الخمار قد سلبه الكنز الموجود في جوف الحوت .

زكريا الطريد الهارب الى الغابة اين البطولة فيه او التعليم لنتفلسف فتقول الحوت هو الاستعمار في مرحلة احتضاره قضى على البسطاء وسطت البرجوازية على المكاسب ـ صاحب الخمارة ـ فهل يمكن اعتبار زكريا نموذجا للمناضل ضد الاستعمار وكيف يتحول هذا بعد هروبه الى الغابة ويعود ليقود الصيادين نحو الحوت الجديد ؟ وكيف استطاع ان يمتص خوفهم وشراستهم وخلافاتهم ويسير امامهم ويسيرون خلفه طائعين مختارين ؟

ان كل شيء في زكريا غير مقنع لان واقعية الاشياء تفرض ان تكون النهاية .

مبينة على مقدماتها شيء مرفوض ان يكون زكريا بطلا او معلما لانه لم يكن الا انانيا وهو لم يقتل الحوت ليخلص المدينة منه بل ليقال ان زكريا قتل الحوت وتنظر اليه النسوة باعجاب .

ماذا عن التعاليم التي زرعها هؤلاء المعلمون وماذا عبد القادر علم فارسا ولكن فارس ترك بلده ، وذهب ليخدم مع جيش المستعمر في ليبيا الاستاذ كامل لم يفعل شيئا في مسيرة الاحداث .

الخياط قتل كي يبعد عن درب الفتى ، قتله والد الفتى ورجع الولد الى ابيه وهذه ملاحظة تلفت الانتباه زكريا المرسنلي قاد الصيادين لتحرير المدينة في خاتمة لا تقنع احد . وحده خليل اثمر تعبه واقنع فياض بالعودة الى سوريا ليتابع نضاله .

اذا معلمو قصص مينا لم تثمر تعاليمهم في ابطالهم الا خليل مع فياض . انهم معلمون في ظروف غير مناسبة يذهبون ضحايا معطيات الواقع غير الناضج الذي كان من سوء حظهم انهم وجدوا فيه انهم معلمون تبقى لتعاليمهم قيمة كبيرة لان الواقع واقعنا مازال بحاجة الى تعاليمهم ومن الطبيعي ان يحترقوا في مثل الظروف التي وجدوا فيها .

كان هؤلاء هم المعلمون فمن هم الابطال الذين تلقوا التعاليم ؟

ـ بقايا صور ـ بطلها هو الولد الذي نشأ وترعرع في حضن الفقر والغربة والتشرد والاب السكير والام الحانية وذكرى الاخوات الخادمات الصلاة والاحسان واصناف الناس من الاقطاعي الى زنوبة العاهر البطولة هنا هي تكوين الفتى النفسي انعكاس كل هذه الظروف في داخله وتأثيرها عليه وطبعه بالحزن والالم . ولم يقدر لنا ان نشاهد نضج الفتى لذلك من الصعب كثيرا ان نفهم نفسيته وطبيعته ويرجع القصور الى حجم القصة وهدفها انها لا تريد ان تسجل الا بقايا صور لم تستطع الذاكرة ان تنساها حفرت في اعماق القلب واستقرت هناك .

ـ والمصابيح الزرق ـ بطلها فارس فتى يافع متعلم يبحث عن لقمة العيش اشترك في مظاهرة ، سجن احب ، مارس الجنس ليأكل ، لم يكمل الطريق، انحرف وذهب مع الجيش الفرنسي ليحارب الالمان في ليبيا فارس صورة للانسان الذي لم تتوفر له ظروف موضوعية كافية ليتابع مسيرة النضال او لم تتوفر فيه الصلابة الكافية لطريق النضال .

ـ الثلج يأتي من النافذة ـ بطلها فياض مثقف ثوري ، صحفي من سوريا ، ذاق مرارة السجن هرب الى لبنان ظنا منه انه بذلك يمتلك الحرية لخدمة القضية لكنه اكتشف ان الحرية زيف خارج الوطن وان حرية لبنان ستار خادع ـ انت في كرم الزيتون وليس في شارع الحمرا وغمامة الحرية لا تفيء على الحيين بنفس المقدار ، مفهوم الحرية لا يشملك بل حق اللجوء لا يشملك انت مطارد هنا وهناك ـ .

يتعلم ان على القوى الثورية ان تعمل في اقطارها يقولها له خليل ويتعلمها بالتجربة فيعود الى بلده ليتابع مسيرته .

ـ في الشراع والعاصفة ـ البطل هو الطروسي انسان متخلق بأخلاق البحر الغضب والهدوء العنف والطيبة مأساته تتركز في عشقه للبحر واضطراره للابتعاد عنه فهو اما ان يكون ريسا للمركب او لا ينزل البحر ابدا وبانتظار هذا الحلم حلم رياسة المركب والمرافىء البعيدة وماريا الحبيبة القديمة يمضي بأيامه ورغم اصطراع الاحداث السياسية حوله الا انه لا يهتم بها الا بمقدار انعكاسها عليه على فرديته ومستقبله ولكن الطروسي لا يستطيع ان ينأى طويلا عن الاحداث.

انها تشده اليها وتستثير وضبته العفوية الصادقة تلك يعرفها في نفسه فيقول ـ انني وطني بلا فلسفة ـ.

ثم يقلع بمركبة الجديد الى حلمه البعيد وهناك يتذكر ماضيه وما فيه من اعمال :

ـ تهريب الزعماء من جزيرة ارواد ، انقاذ الرحموني ، ونقل السلاح ، فهل سيذكر الناس هذه الاعمال ؟ بلى لا بد ان يذكروها ولا بد ان يذكروني .

ويعي ذاته فما هو الاحلقة في سلسة الاعمال الانسانية .

ـ سيذكرني البحر والبحارة والصيادون وسيتحدثون عني وهم يتحدثون عن المهنة فانا نفسي قد تحدثت عن الذين مضوا ـ .

ـ الشمس في يوم غائم ـ بطلها فتى في الثامنة عشرة من عمره ، من خلاله تدور المعركة بين القطبين

المتنافرين الاب الاقطاعي سكرتير المستشار الفرنسي ممثل الاستعمار والاستغلال والخياط ممثل الفقراء والوعي الثوري ، ثائر على تقاليد اهله وزيفهم وملقهم يرفض خيانة ابيه وتعامله مع المستعمر ، يرفض بيته يرفض العلاقات الاقطاعية يرفض ما في الكتب التي يعلمها المستعمر فينزل الى الشعب يتعلم من الخياط يعشق المرأة ساكنة القبو ، يسمو امام المرأة صاحبة الابتسامة ويشفق على ابنة عمه التي تحبه يريد الانعتاق من حياة راكدة مرسومة باهتة في داخله لهب يحرقه ، هذا اللهب يلفت اليه الخياط فيقول له : في داخلك شيء يريد ان يخرج :

هذا الشيء هذه الثورة التي يتمناها الفتى لا يستطيع ان يخلص لها يتمناها ان تقوم ولكن بدونه يتمنى لها ان تنتصر ولكن ليس على يديه ..

والخياط علمني رقصة الفرسان منحني صداقة رجل لرجل ، وفي اللحظة الحاسمة ترددت ان ذلك يضعني ضد اسرتي ، كنت خائفا من هذا ولا اريد شهوده ليجر كل شيء في غيابي بغير اسهامي وانا من بعيد سأباركه وهذا منتهى جهدي – ويتدخل الاب لينهي التردد يقتل الخياط ويستعيد ابنه .

البطل انسان ليس من طينة الثوار لذلك يصعب عليه أن يصبح ثائرا . تلك هي الشخصيات الاساسية وهنالك شخصيات اخرى تتكرر في معظم القصص:

الاب : وهو سكير مخفق لا مبال : – بقايا صور – أو أناني كما في – الياطر والشمس – .

الام : هي الحانية الرقيقة التي تدفع أعصابها وكرامتها ثمنا لحماية ابنائها ، تسولت لهم لتطعمهم حنت عندما تخلى الاب ، انسحقت وهي تسلم بناتها ليصبحن خادمات هذا النموذج يتكرر في جميع قصص مينا وان اختلفت وضعية كل ام حسب الطبقة التي تنتمي اليها .

الزوجة : صابرة وفية تتحمل من زوجها كل شيء حتى عدم الاخلاص .

العاهرة : امرأة دائما هي موضع شفقة الكاتب وغفرانه واعجابه لانها ضحية ، ضحية الفقر والجهل واليأس ومن نماذجها :

زنوبة في – بقايا صور – امرأة يأتيها كل الرجال ويحتقرونها ولكنها الوحيدة التي اعتنت بأسرة الكاتب المتشردة وساعدتها،ووقفت في وجه الاقطاعي وأحرقت له مخازنه ولقت حتفها ثائرة .

مريم السودا في – المصابيح الزرق – تابت وأصبحت زوجة صالحة .

الارملة في المصابيح الزرق من طبقة غنية ولذلك فهي عاهر من نوع آخر انها تريد ان تملأ فراغها وتشغل جمال جندها لذلك لم تستحق غفران الكاتب .

المرأة ساكنة في القبو في – الشمس : ساقطة وشريفة ، حاقدة ومحبة ، رقيقة ، جريئة ، واثقة بنفسها قتل الاقطاع والدها ، مات زوجها ، فالبغاء وسيلة للرزق وللانتقام من السادة ، انها تجعلهم يمارسون الجنس على الحصير ، ولولا انحرافها فربما استطاعت ان تمثل الملامح الايجابية للمرأة يساعدها في ذلك علاقتها الوثيقة بالخياط . ام حسن في الشراع بغي تائبة اخلصت كل الاخلاص للطروسي فكافأها بالزواج الحبيبة : هي ككل حبيبة لطيفة ، ناعمة رومانسية ، تعجب بحبيبها وتتمنى ان تنتقل الى بيته – المصابيح – الثلج .

ولقد عجز مينا ان يرسم لنا صورة واحدة ايجابية للمرأة ، ما عرفنا المرأة العاملة ولا المرأة المناضلة ، وان مرت بنا احداهن فليست الا طيفا باهتا لا يكاد يبين تلك هي شخصيات حنا مينا ، فما هي الملامح العامة لهذه الشخصيات ؟

الملامح العامة لشخصيات مينا :

١ – البطل جزء من المجموع . ففي كل قصة نجد العلاقة الوثيقة بين البطل والجماهير يأخذ منها ويعطيها ، يتعلم ويستفيد يضع كل امكاناته في

خدمة المجموع .

حنا : يدرك العلاقة الجدلية بين بطل الواقع وجماهير الواقع ، لذلك فهو دائما يربط بطله بجماهيره وهو ربط محكم في كثير من المرات .

ففارس – المصابيح الزرق – جزء من الحارة لذلك عندما اسجن فقدته الحارة احس الجميع انهم خسروا شيئا ، وفياض – الثلج – يهرب من الواقع ويعتزل الناس ثم يجد ان الفقراء ملجأه ومعلميه وان الهرب ليس اكثر من جبن غير ان زكريا المرسنلي يعيش بعيدا عن الناس في كل القصة فهو اناني لايحتاج الناس ولا يحتاجونه ، زوجه وغيرها لقضاء حاجاته ، الخمارة للشرب ، البحر للمال او اظهار البراعة وحتى شكيبة التي احبها بصدق كانت وسيلة للتعايش مع الهرب الذي لجأ اليه وان هذه القصة تجعله بعيدا عنهم وهم بعيدون عنه وهذا طبيعي في انسان له من صفات الوحوش اكثر مما له من صفات البشر .

٢ – البطل ايجابي : خارج من قلب الفقراء لتحقيق هدف الفقراء مع ان هذه النتيجة العامة لا تتوفر لابطال مينا، فارس تعلم وناضل ثم استسلم وسافر الى ليبيا ، صحيح ان كثيرين سافروا ولكنهم كانوا هامشيين ان من تختاره القصة بطلا ايجابيا لا يجوز ان ينحرف بسهولة لان في الواقع كثيرين مثل فارس لم ينهزموا وهؤلاء هم هدف القصة الحقيقي ، ونرى النقيض تماما في زكريا المرسنلي انسان لا يملك اية مقومات جماهيرية وفجأة يصبح بطلا يقود الصيادين نحو الحوت .

وبين الايجابية والذاتية يقف الطروسي مرة ينحاز للفقراء والوطن ومرة ينحاز لنفسه واخيرا يقلع من هذا الوطن ليصبح بحارا .

اما فياض فهو بطل ايجابي بحق تعلم وهرب وعاد الى بلده حيث يجب ان يناضل .

٣ – الرفض والمقاومة : دائما ترفض شخصيات حنا مينا واقعها وتسعى الى تغيره وقد يكون هذا السعي منطقيا منطلقا من طبيعة الحدث وقد يكون غير ذلك اهل زقاق – المصابيح الزرق – يقاومون منهم من يموت ومنهم من ينهزم ومنهم من يتابع الطريق في – الثلج – فياض يقاوم وينهزم ويعود ، ولكن خليل يظل مقاوما عنيدا لا يلين انه نموذج للبطل كما نريده صلب مرن متفائل فقير متحمل ، لا يدفعه الفقر الى اليأس بل الى الثورة والعمل .

٤ – الشخصيات من الفقراء الا الفتى في الشمس والا خلفيات القصص والاقطاع والمختار ورئيس البلدية وابوها في سيد الميناء وهؤلاء ليسوا شخصيات اساسية في قصص مينا .

ان البسطاء هم قوام العمل الثوري مع انه ليس هنالك بلورة واضحة وعملية لهذا الاساس .

٥ – الشخصية نمطية ذات ملامح عامة احيانا واحيانا لها ملامحها الخاصة في كتابات مينا نلحظ التخطيط الفكري انه يريد الوصول الى هدف معين والوصول قد يكون منطقيا احيانا ولا منطقي في احيان احرى ، لذلك نجده يلبس شخوصه اقنعة فكرية يريد ان يعرضها ، او هو يقدم انماطا نعرف منذ قابلناها كيفية تصرفها ، قدم لنا شخصية النوري بأنماطه الثلاثة ، المنحدر الطبقة الدنيا والوسطى والعليا ، وعرض لشخصية ، الرجعي الوصولي – الانسان – المسحوق – العاهر .

نلمح احيانا تململ الشخصية بين يديه ومحاولتها الانفلات واحيانا تحكمه التعسفي بها .

٦ ـ ملامح مينا ترسم في صور شخصياته : انه موجود في كل قصصه وهذا طبيعي لان الكاتب يعبر عن نفسه ولا بد ان تحمل شخصية في القصة او شخصيات صفات الكاتب ـ انه الطفل في ـ بقايا صور ـ والاستاذ كامل في ـ الشراع والعاصفة ـ وجزء من عبد القادر في ـ المصابيح ـ والخياط في ـ الشمس ـ وجزء في ـ الياطر ـ وفياض في ـ الثلج ـ وجاذبيته تحل في جميع ابطاله فهو معشوق النساء بلا منازع . على ان الشيء الرديء في الامر انه كثيرا ما يقحم نفسه اقحاما لامبرر له بحيث يجعل للشخصية تفكير اعمق اوسع وابعد مما نحتمل كما فعل بزكريا .

٨ ـ براعته في رسم الشخصيات الثانوية واعطائها ملامحها الحقيقية من خلال اطلالات قليلة كالخال ابراهيم في ـ بقايا صور ـ والحلاق في الشمس وهنا في رسم شخصيات متعددة امام البطولة الفردية التي تفسح المجال للاستيطان الداخلي والتعمق وهذا ما يؤثر على حبكة الحدث فقد كانت تنمية الاحداث تأتي عن طريق التشابك والتقاطع بين مصائر الابطال ثم مالت الى التنمية باتجاه طولاني ليلائم البطولة الفردية .

الهدف :

يهدف مينا الى اظهار قسوة الواقع وتفجير التفاؤل من هذا الواقع والايمان بقدرة البسطاء على التغيير وهو يبرز ايجابيات وسلبيات مراحل النضال ويعلق الحل في يد طبقة العمال .

واذا كانت الواقعية الاشتراكية تعني تصوير الواقع ورسم صورة مشرقة للمستقبل فاننا نستطيع ان نعد مينا من الواقعيين الاشتراكيين في وطننا الغربي انه حريص على اظهار امله بالمستقبل الاتي رغم كل العوائق الطالعة من قلب الظلمة انه متفائل وتفاؤله ينعكس في قلب القارىء املا وانفتاحا على عالم الغد أدبه ادب رسالة احيانا تكون البشارة صارخة ، احيانا مباشرة ، ولكن رغم ذلك يبقى الفكر الجيد والجهد النبيل الذي بذل لتحقيق هذا الهدف .

في ـ المصابيح الزرق ـ رسم لنا صورة قاتمة للمجتمع في تلك الفترة من تاريخ سوريا استعمار وحرب ومجاعة وفقر وهجرة وظلال حرب قديمة وموت زهرتين من زهرات الجيل فارس ورنده ، رحلا في عز الشباب ، ولكن يبقى الصمود ، يبقى الاب بجلده بشخصيته القوية الواثقة بأبنائه الباقين ويبقى الوطن برجاله بجيله الجديد يخرج بمظاهرات تطالب بالاستقلال .

في ـ الشراع والعاصفة ـ تطالعنا الروح المتفائلة القادرة على تجرع مرارة عيش لا تحبه وتنتظر اليوم الذي تستطيع ان تحقق امانيها اليوم الذي يعود به الطروسي ريسا واليوم الذي يعود فيه أبو حميد من انسان مشبوه لتشيعه لالمانيا الى مواطن له دوره المرسوم في مسيرة الحركة الوطنية ، واحمد الفتى الضائع المتسكع بالعمل يجد ذاته التي اضاعها طويلا والكل ينسون خلافاتهم ويعملون من اجل الاستقلال في ـ الشمس في يوم غائم ـ المعلم يقتل ولكن فكرا شابا يتفتح على بشاعة الواقع ويحاول ان يتلمس طريقه في ـ الثلج ـ يتعلم فياض من الفرار والغربة والتجربة

الشيء الكثير يعود من مثقف هش الى مناضل قد صقلته التجربة وبذلك يولد من جديد .

اما في الياطر ـ و ـ بقايا صور فلقد كان حرصه على النهابات المتفائلة اكبر من قدرته الفنية . هل قامت هذه الانتفاضة الفلاحية حقيقية في ـ بقايا صور ـ وهل كانت الظروف الموضوعية مهيأة لقيامها وزنوبة هل ادركت فعلا علاقات الاستغلال ، وهل ارادت فعلا ان تواجه الاقطاعي وان تبيح مخزن الحبوب للفلاحين ؟ .

لو اخذنا الفترة الزمنية التي صورتها القصة لوجدنا ان الفكر الاجتماعي ما كان قد بلغ الدرجة التي اوصله اليها الكاتب كذلك في الياطر كان تفاؤل الكاتب اكبر من مقدرة البطل فكانت هذه الثغرة التي لا يمكن ان تعد صغيرة .

ولكن لا يستطيع القارىء ان ينسى هذه الرغبة الحارة التي يمتلكها الكاتب لخلق حياة اكثر جمالا واشراقا من الحاضر وهذه القدرة على تسليط الضوء على خير ما في الانسان . وغفران خطاياه وفتح الطريق امامه للتوبة والتجديد والمشاركة في طريق النضال .

ولعلنا لا نغفل محاولة الكاتب مزج التفائل المسيحي بالتفائل الثوري ، اقامة علاقة جدلية صحيحة بين الماضي والحاضر من خلالها ينبثق المستقبل ولعلنا نستطيع ان نعتبر عبارة السيد المسيح ـ اقرعوا يفتح لكم ـ فلسفة الكاتب التي بناها .

النواحي الفنية عند مينا :

في كل قصص مينا نجد الجذب والتشويق ونجد نفسنا نتابعه بشوق ورغبة فما عوامل هي الجذب والتشويق عنده :

١ ـ الحدث نفسه : ان حنا يقدم لنا دائما حدثا جذابا نحبه ونتهافت الى معرفة ما سيجري بعده انه يعرف كيف ينطلق من الحادثة ويعقدها ويؤزمها ويحلها بما يقتضي التشويق والاثارة ويحفظ حرارة الرغبة في المتابعة ولانكاد نستثني قصة من قصصه من هذه الصفة الجميلة ولكن هذا التشويق كثيرا ما يكون مجانيا انه كقصص التسلية لا طائل تحته تقرأ وتقرأ ثم تشعر انك اضعت وقتك في متابعة امر لا يترك في نفسك اثرا عميقا ولذلك فقصص مينا من النوع الذي لا يشعر القارىء بحاجة الى قراءته مرتين الحدث ممتع ولكن ليس وراءه عمق كاف وفلسفة داخلية ذاتية وغوص الى اعماق النفس البشرية وتفجير للصراعات الحية في الاعماق ولذلك تكاد تكون ـ المجانية ـ صفة غالبة على الحدث .

٢ ـ الاسلوب :

ان المتتبع لاسلوب مينا لا يمكن الا ان يلحظ التطور الذي طرأ عليه ، في رواياته الاولى نلحظ الاسلوب الرصين الجاف ونلاحظ محاولته تطويع اللغة لافكاره وانفعالاته ولكنها تستعصي عليه فتقع تعابيره بعيدة عما يريد كما في وصف الاصيل في المصابيح الزرق ـ وفي الشراع والعاصفة ـ نلاحظ ان اللغة قد لانت ولكن مانكاد نصل الى « الشمس » حتى يأسرنا هذا الوصف المتعمق والالفاظ الرقيقة العذبة نشعر وكأننا نقرأ شعرا لم يوقع ولكن قدرة فائقة رفعته الى سماوات الشعر يصف لنا ضابط الايقاع في في حفل رقصة الخنجر .

ـ وصار الصدى ينداح ليشكل جو النغم كالطبل البعيد كالمزهر في قافلة الغروب الصحراوية برز دويه نداء مخدرا مع الغسق كأنه ابتهالات عطاش الى الماء كأنه الحنين الى طراوات المساء غدا كل دنيا النغم

كل التوق كل حكاية القافلة كل صلاتهـا شوقهـا وتصدعها كل عذابها ورجائها كل حضورها وغيابها في الرمل - .

٣ - الحوار : اما السمة التي رافقته منذ بداية كتابته حتى الان فهي القدرة على ايراد حوار واقعي مرن وهو لا يتورع عن استعمال كلمات بذيئة ان كانت تفي بالغرض لنستمع الى هذا الحوار يدور بين الحلاق المتمسح باقدام السادة وبين الفتى المتمرد على اسرته :

- ابن الفاعلة .. يخلصني تلاميذي فسدهم لو انه يعلمهم عزفه الرديء لكانت نصف مصيبه اما ان يغريهم بالرقص التيس بقرنين يغريهم بالرقص .

هذه الازدواجية في التعبير عنده التحول من ارفع مستوى في الفكر واللغة الى احط مستوى وقلة من يستطيع ان يمتلكها .

٤ - المشاهد الجنسية التي يعرضها ببطء وليس لها سوى دور تجاري كما في قصة الياطر .

٥ - ولكن هـذا لا يعنى انه موفق دائمـا في التشويق فانه كثيرا ما يقتحم حوادث مفتعلة لا علاقة لها بالاحداث وكثيرا ما يطيل المشهد دون مبرر وينتقل الى جوانب ثانوية لا دور لها الا فراغ مافي جعبته .

خـاتمـة :

لقد اختار الكاتب طريق الواقعية الاشتراكية لمحناها في روايته الاولى حيث البطل يتلمس الطريق ويخطىء ، وفي الشراع الطروسي متردد الى اية جهة ينتمي في الشمس يعي الفتى ان المستقبل لن يكون لعائته بل للفقراء ولكنه لايملك القدرة للمشاركة في الثورة ، في الثلج يتضح الطريق امام البطل ويختار العودة والصمود .

هذا الخط الواقعي الاشتراكي الذي راح يتنامى في اعمال مينا ينتكس في الياطر انه يخرج الى الارض لا فيضع في متاهاتها .

ماذا اراد الكاتب ان يقول هل اراد ان يصور لنا زوربا العربي ؟ ان كان اراد ذلك فلقد جاء بنسخة سخيفة لما كتبه كازانتزاكي ، وان اراد ان يكتب قصة سياسية فلقد اخفق كذلك .

لو تركنا الياطر وتأملنا مسيرة مينا الروئية لوجدنا تشابها بينها وبين مسيرة نجيب محفوظ ولئن تخطى مينا محفوظ الى الاشتراكية فلقد قصر عنه في قوة الفكر وفي تقنية الرواية .

لو عقدنا مقارنة بين زقاق المدق والمصابيح الزرج لاذهلتنا نقاط الالتقاء بين الكاتبين ولاحتاجت الى دراسة طويلة مفصلة ، ولكنا سنكتفي بالاشارة الى نقاط الالتقاء :

كلاهما ركز على البيئة في الرواية وكلاهما اكد على انعكاس الاحداث على الشخصيات وكلاهما برع في رسم الشخصيات الثانوية وأغنى بها القصة وحقوق توازنها ، وعند الاثنين نجد الشخصيات المهزومة التي سحقتها الظروف ولئن التقيا فكريا فلقد اختلفا فنيا ، لمحفوظ هذه القدرة الفائقة على رسم شخصيات حية مؤثرةسواء فيسلبها وايجابها كشخصية - منصور باهي - المذيع في ميرمار - بينما عجز مينا ان يخرج لنا بشخصية واحدة تترك اثرا في النفس محفوظ يملك الرؤية الواضحة المتكاملة اما مينا فركضه وراء الصورة المستقبلية يبهظ قصصه بحمل لا تسطيع القيام به لمينا في صف الواقعيين العرب مرتبة تتأخر عن محفوظ ومحمد ديب اما في صف الواقعيين السوريين فله الصدارة .

نجيب محفوظ

ثروت اباظة

من مواليد ديسمبر ١٩١١ في حي العباسية ـ ولكن نجيب محفوظ ابن القاهرة البكر جميعا ، هي امه وهي دماؤه وهي حياته ـ رسمها في كل جانب من جنباتها ، وفي كل حنية من أحنائها ، في الهمسة تذوب بين جدرانها وفي صرخة المظلوم تدوي في اركانها. في الفرحة ـ وما أقل الفرحة في القاهرة وفي الحزن ـ وما أكثر أحزان القاهرة ـ هي نبض قلبه واحساسه وفنه .

في البواكير الاولى من اعماله الفنية كانت القاهرة عنده هي مصر جميعها فهو يستلم تاريخها الفرعوني ويكتب ـ عبث الاقدار ، رادوبيس ، كفاح طيبة . وقد كان نجيب ينوي أن يسير مع تاريخ مصر خطوة خطوة حتى يصل بها الى تاريخها الحديث ـ ولكنه خشي ان يطول به السير ولا يصل الى قاهرته في الموعد الذي يريد ان يصل فيه ـ فانتزع نفسه من عبق التاريخ وذكره والقى بقلبه وبقلمه الى القاهرة الحديثة . وكتب القاهرة الجديدة وخان الخليلي وزقاق المدق . وكان يكتب ويكتب ولكن قليلا ما يسمع الناس قوله وهو صابر واثق بنفسه وأصالته حتى انفجر فنه فجأة واصبح في لحظة خاطفة معلما من أضخم معالم الرواية المصرية والرسخها وارفعها شموخا واثبتها اساسا . ويقول طه حسين عن روايته زقاق المدق في بداية شهرة نجيب محفوظ انه يضعها بكل اطمئنان مع الادب العالمي .

ويتفرغ نجيب محفوظ للرواية كأول كاتب مصري يتفرغ للرواية فينشيء خوالده ـ بداية ونهاية، السراب ثم يطلع على الناس بأضخم عمل روائي في تاريخ الادب العربي الحديث ـ ثلاثية بين القصرين ـ قصر الشوق ـ السكرية يروي خلال ابطالها تاريخ مصر لفترة ثلاثين عاما تبدأ بتلك الفترة الزاهرة من حياة مصر عام ١٩١٩ .

ويميل نجيب بعد ذلك عن الواقعية بعد ان احس انه قال فيها ما يريد ان يقول ويأخذ ستة روايات البحث فيكتب روايته الرائعة ـ اولاد حارتنا يستعرض بها تاريخ الانسان من خلال معتقداته كل ذلك في اطار رمزي وفي اصالة فنية باذخة تغلب عليه ثقافته الفلسفية ويتوغل في البحث ليكتب سلسلة روايات الباحثة التي تتابع الحقيقة تحاول ان تعثر عليها فنقرأ له ـ اللص والكلاب ، الطريق ، الشحاذ وفي لحظات نظراته الى مصره وقاهرته يكتب ثرثرة فوق النيل والسمان والخريف وميرمار . بحر من الفكر والفن و الاصالة نجيب جذب الرواية المصرية من محاولاتها الاولى ليرسى لها اطنابها على اسس الرواية الغربية الحديثة في فنية رفيعة وفي ثقافة ضخمة تحسها وراء العمل ولا تسمع ضجيجها فيه شأن الفنان الاصيل يتزود من الثقافة ماشاء ان يتزود ولكنه يكتب فنا حين يكتب .

ونجيب محفوظ من الروائيين القلائل النادرين الذين شغلوا أنفسهم باللغة الروائية فهو يقدم عرضه في لغة طليقة حرة ولكنه في بعض مواضع منها يحس ان الاسلوب يحتاج الى شاعرية فيلونه بهذه الشاعرية وقد يجد ان الموضع من الرواية يحتاج الى لغة صوفية فيصبح أسلوبه صوفيا تعينه على ذلك ثقافته العريضة وهو في الحوار دائما يختار هذه الطريقة التي تكاد تصل بالالفاظ الى العامية بينما هي عربية اصلية .

ونجيب محفوظ من اعلم الناس بأصول فن الرواية درسها دراسة متخصص وتابع ريتابع كل جديد فيها ـ ويختار لنفسه طريقة غير مستجيب الا لنفسه صادقا مع نفسه لا يخادعها ـ فهو لا يخادع نفسه في شيء سواء كان ذلك في فنه او في حياته .

وقد اهتم نجيب بالقصة القصيرة ايضا ولعلها في هذه الايام الاخيرة هي الشكل الذي يختاره ليقدم به فكره وقد اختار اخيرا شلا جديدا فيها يمكن ان نسميه القصة الحوارية

وقد ترجمت اعمال كثيرة لنجيب محفوظ الى اللغات الاجنبية ـ وقد عكف الاب جوميه على دراسته فيما يدرس من الادب العربي الجديد وكذلك حداد في لوس انجلوس .

وبعد فلا شك ان نجيب قد شيد للرواية المصرية اضخم صروحها على الاسس التي ارساها هيكل وطه حسين وتوفيق الحكيم والمازني .

عودة المغترب

شعر شكري هلال

المسا الحلو وعيناك ، وما
ورماد الامس ، والذكرى التي
لوحت لي بربيع حالم
موسمي المخصب يزهو عرسه
أتملاك بطرف ذاهل
ويبوح الصمت بالشوق الذي
يبسم الصبح بعينيك فلا
فانا بعدك حقل مصحر
ارجعي بالوصل امسي زاهيا
ايقظي الفتنة في روحي سنا
رفرفي روح حنان وادع
مالعينيك اذا ناداهما
قلبك المشتاق لا اسمعه
ما لاشواقك لا تحرقني
وازاهير المنى ما بالها
جئتها بالحب اسقيها دمي
موكب الاحلام والحب ارى
عرسنا المأمون ماذا غاله
كم رعيناه انتظارا قلقا
تخرس الدهشة شعري ، هكذا
والمسا يعتب والصمت واح
غيرت فينا الليالي وانطوى
وانطفأنا ، لا حنين لا هب
ويلم الدهر شملينا فلا
نحن حلم خائب ـ فابتسمي
نحن صلينا الى الفجر فما

في فؤادي المولع المغترب
لألأت في شوقي الملتهب
لم تطف قبل به رؤيا نبي
فرحا ، ياللربيع المخصب
وبقلب مستهام معجب
لم تغيره صروف الحقب
تحرميني الوحي لا تحتجبي
فاحيليه لحقل معشب
واثري النعمى بعمري المجدب
يتهادى في جلال الموكب
ينزل الامن لقلبي المتعب
خافقي ، لاذا بصمت مرعب ؟..
خافقا ، ،ماباله لم يثب ؟..
ليت قلبي كان بدل الحطب
ذبلت في عيدها المرتقب ؟..
ودموعي ، فنأت ، لم تشرب
فيه حزن الموجع المكتئب
فبدا كالمأتم المنتحب
فجره يولد خلف الغيهب
املي من عودة المغترب ؟
سلامنا ترثي سمو الطلب
اعذب النجوى ، وليل العتب
لا غد يزهو بحلم مذهب
تخفق الروح بماضي الارب
ياجراحي واصمتي لا تعتبي
زارنا ، ياعطر لا تنسكب

ومضى عـــام

عبد العزيز بن عبد الله الربيعي

ومضى ...

عـــــــام ...

« .. وطاردتني الذكريات طيلة العام وكأنهـــا تلومني على عزوفي عن الكتابة .. بل على عجزي ...

وطاردتني معها رغبات المحبين ان اكتب .. أي شيء... وكأنها غائرة على قلمي ان يجف غيرة متقدة وكان

قلمها .. وقد اسرني حماس هؤلاء المحبين المخلصين فأمدني بالقوة رغم ضعفي .. »

ومضـــى ...

عـــــــام ...

مضت وقد اكتهلت فخلت اني
رضيع ما بلغت مدى العظـــام
سألت : متى اللقاء ؟ فقيل حتى
يقوم الهامدون من الرجـــام
فليت أذين يوم الحشــر نادي
فاجهشت الرمـــال الى الرمام

حسدت وما كان من شيمتي الحسد ـ الذيـن يستطيعون ان يكتبوا عندما يفقدون عزيزا عليهـم .

لقد حاولت مثلهم وعصاني القلم ... وان لم يعصني الدمع ، وماتت الكلمات بين البلادة التي اعرفها عـن نفسي ، وبين الحزن الاعمى الذي يكره أن يصدق اني لن أعانق امي بعد الآن رحمها الله ، ولن اكب علـى رأسها كما كنت افعل كلما عدت اليها من خارج الدار.

ويمضي عام .. والذكريات تحاصرني من كـل جانب ، وعبثا احاول ان يستقيم القلم في يـدى ولا يترنح من الالم .. وهل هناك اقسى على النفس من ذكريات الامومة الحنونة .. وطاردتني الذكريـات طيلـة العام وكأنها تلومني على عزوفي عـن الكتابـة ... بل على عجزي .. وطاردتني معها رغبات المحبين ان اكتب .. أي شيء .. وكأنها غائرة على قلمي ان يجف .. غيرة متقدة .. وكأن قلمي قلمها ... وقـد أسرني حماس هؤلاء المحبين المخلصين فأمدني بالقوة رغم ضعفي ..

ماتت أمي .. وكل حي سيموت .. لاسبيل الى المراء . الموت حق ، وكل نفس ذائقة الموت .. ماتت امي الانسانة .. البارة .. الرحيمة .. الصديقة التي كانت صديقة للاعداء قبل الاصدقاء .. ماتت كما يموت كل حي ولكن لن يموت بموتها ما خلفته من محبة وبشاشة وسماحة ومروءة وخلق رفيع ..

اللهم هب لنا العقل والصبر ، وارزقنا نعمة الادراك حتى ندرك حكمة هذا الذي يحدث .

اللهم لا اعتراض ولا مراجعة ، ولكنه العجز المطلق والتصور القاصر عن الفهم .. عن ادراك الحكمة في هذا المصير .

كيف يحرم الولد من أمه وابيه .. كيف تحرم الام من ابنها .. ؟ كيف يحرم الاب من ابنه .. ؟ والاخ من أخيه .. ؟ كيف ..؟ كيف .. ؟ كيف .. ؟ أسئلة تبقى بلا جواب .

لقد رجعت من القبر وانا أقول ماذا أفعل عندما اصل الى الدار فأرى ابنتك واحفادك الاثيرين لديك يتلفتون حولهم فلا يجدونك بينهم .. اللهم اجرني وأجرهم .. اللهم ارحمني وارحمهم فقد أوشكت أن أضل سواء السبيل .

لقد بكت اسرتك كما لم تبك منذ وجدت ... تبكي قلبا لم ينبض بغير الحب والحنان .. تبكي ابتسامة تتوارى في مواجهتها الاحزان . . تبكي تواضعا يستحي امامه كل من فقد الحياء .. رحم الله القلب الكبير النقي الذي ان اتفق أو أختلف يبقى صافيا كالخير لا يعكر صفوه خلاف او حتى خصومة .. لم يكن يؤلمه الا الجحود ، ولكن الالم الكبير لايترك في نفسها موجدة اوضغنا على احد كائنا من كان .

كانت لاتكره الا الكراهية .

لا شك بانك تحتلين جزءا كبيرا من كل قلب عرفك تحتلينه بوداعتك وبسماحتك وبصدقك وطهارتك .. بايمانك بكل هذه القيم .. بشفافيتك . بجدك ومثابرتك على عملك .

لقد كنت هادئة صبورة الى أقصى حدود الصبر .. تفهمين اعماقنا قبل ان تحدثك ، وتحنين علينا ولا تقسين .

أجمع الناس .. كل الناس بأنه ليس في الدنيا شيء أصعب على النفس من لحظات الوداع .. فما بالك اذا كان هذا الوداع هو الوداع الاخير !!

هنا .. في هذا المكان الذي لا يسكنه الا الموتى . كان اخر وداع لاعز مخلوق على نفسي .

هل يستطيع الابن ان يكتب عن أمه بانها ماتت .. شيء صعب .. لان ما بين الابن البار - وأرجو ان أكونه - وبين امه رباط مقدس ربط عمريهما فاصبح كل منهما حيا ما دام الاخر حيا . وهل هناك رباط اقدس من رباط الامومة ..

الامومة :

والامومة اخصاب ودفء وحنان . وليس أعز على النفس البارة من الام . قد تمتلىء الدنيا بعشرات الانواع من الحب ، ولكن يبقى حب الام اعظمها واروعها واشملها . وانا أعنى هنا حب الام لاولادها وليس العكس ، فكثير من الابناء يكون عاقا لامه .

الام تعطي ابناءها الحب خالصا دائما صابرا قانعا .. قد يرتفع ابنها او ينخفض ، قد يكون طاهرا أو آثما ، قد يكون عاقا قاسيا او بارا رحيما ، قد تصفق له الدنيا وتعظمه وقد تزدريه وتحقره ، قد تحبه او تكرهه .. ولكن حب الام له يظل على ما هو عليه في كل الحالات .. اذا وقفت الدنيا في وجهه وقفت هي معه تتحدى الدنيا .. انه قطعة من جسدها وكبدها وروحها ووجدانها .. ومهما يكن حبه لها فانه لن يبلغ حبها له لانه ثمره انفصلت عن الشجرة وجرى في الدنيا له احلامه وامانيه ، له تطلعاته وغاياته ، اما هي الشجرة التي اثمرت ، الام التي انجبت فتظل حيث هي تذكره الى ان يعود .. تغفر له الى ان يتوب .. تظل تحس انها اعطت ولا بد ان يرتد اليها عطاؤها يوما ما في هذه الدنيا أو بعد ان تأذن الدنيا بمغيب . ولا يستطيع احد في هذه الدنيا ان ينزع من الام حبها لطفلها .. انها تحبه مهما فعل ، ومهما قال الناس عنه ، ومهما تغير .. انه الحب الوحيد في الحياة الذي يخلو من الانانية .. لماذا ؟! لان طابعه الايثار الى مالا يستطيع تصوره عقل بشري .

وليس هذا كلاما انشائيا يقال في المناسبات بل انه حقيقة تؤكدها في كل يوم التجارب لي ولك وللناس جميعا .. ومن سوء الحظ ان الكثير منا ينسى هذه الحقيقة أو يتناساها ولا يذكرها الا في المناسبات المؤلمة مثل هذه .. ان الام تؤثر الخير اولدها مهما عانت في سبيل ذلك ، وهي تفعل ما تفعل بقلبها ، ولا فرق بين ام تعيش في القرية او البادية لا تسمع كلمة ثقافة ولا تدري ماذا تعني كلمة التعليم ، وبين مثقفة

متعلمة تعيش في المدينة وتحيا حياتها .. فالامومة واحدة لا تتغير أن التعليم لا يصنع اما .. فالامومة احساس بنبض قلب الجنين ، ومع كل خفقة قلب يزداد الارتباط بين الام وجنينها ثم وليدها .. انها تعطيه في كل لحظة بعضا من حياتها وكل حبها وليس البعض منه وكل قلبها .. ومهما كتب الكاتبون وصور المصورون لحياة الام .. فان كتاباتهم تبقى ناقصة قاصرة عاجزة لان قلب الام ينطق لغة اخرى بالنسبة لاولادها لا يعرفها العلماء والكاتبون ، ولا يمكن أن ينطق بها أي عالم او كاتب ... انها لغة القلب لغة خيرة سليمة الفطرة صادقة آثارها اصدق وأقوى من كل خبرة وعلم .

اليست هي التي تحنو وتتعب ؟ وتشقى وتضحي في سبيل اولادها دون ان تنتظر منهم جزاء او كلمة تقدير طول حياتها ؟ اليست هي التي تقدم اضعاف اضعاف ما قدمته من تضحيات لابنائها اذا دعت الحاجة .. اليست هي التي لا يسعدها في الدنيا كلها اكثر من ابتسامة توحي بسعادة ابنائها .. طبعا انه لا يوجد لدى الام أحلى من هذه الابتسامة التي تخرج من الشفاه العزيزة الى قلبها الكبير .. لانها تحمل معها سعادة لا يستطيع ان يصفها اي انسان في هذا الوجود مهما بلغت عاطفته وعلمه وتجربته .. اليست الام هي الجانب الطيب في الحياة كلها ، وهي الحنان الذي لا ينضب مهما قست الظروف ، وهي الغفران الدائم مهما كانت الخطايا .. اليست هي الينبوع الدائم المتجدد الذي يمنح ويعطي بلا حساب وبلا ثمن وبلا سؤال .. ؟ اليست هي النور حين تملأ الدنيا الظلمات ؟ .. اليست هي التي تحترق كالشمعة وتذوب تحت ضربات الزمن القاسية وتفنى وهي تحاول أن تصنع لك الامل في المستقبل وتنير لك الطريق اليه وتبدد ظلام الحاضر .. ولكن شيئا واحدا لا يمكن ان تسأله .. لماذا هي تحترق .. ؟ هي تفني نفسها ؟ لماذا تذوب في الطريق الى التلاشي .. ؟ لقد حرمت على نفسها هذا السؤال .. واصبحت الكلمة لتي تملأ سمعها وبصرها وحاضرها ومستقبلها هي كلمة ولدي او اولادي .. أنتم كل شيء .. انتم شبابي الذي اقدم رحيقه لكم .. انتم سعادتي التي احاول أن اجعلكم تتذوقونها .. أنتم مستقبلي مهما قدمت لي الدنيا من اغراءات وعروض ووعود .

لولا الام ما كانت بسمة الحب ولا كان دفء الحنان ولا راحة القلب وروعة السلام ..

الاسوة :

ان ميدان الاسوة في هذه الدنيا فسيح لا يحد ، وما من الناس الا من رزيء في نفسه اوماله أو ذويه . وقد رويت عن الاسكندر قصة إن فاتها صدق الواقع فلن يفوتها حسن المغزى فقد ذكروا ان الفاتح المقدوني اوصى والدته ان تدعو الناس بعد وفاته ليوم يجتمعون فيه على الطعام والشراب والسرور ليكون ماتم الاسكندر بهيجا مرحا على غير عادة الناس على الا يوافيها للعزاء احد اصابته مصيبة فيكدر الصفو ويطفيء الانس .. فلما هلك النجل ونفذت الام الوصية ، لم تجد احد الم بساحتها فسألت مندهشة ما بال الناس تخلفوا عنا مع ماقدمناه ؟ فقيل لها انك امرت الا يوافيك احد اصابته مصيبة وكل الناس مصابون .. عندها عرفت ان الاسكندر قد احسن تعزيتها بما اوصى به ، ورحمه اللـه ابا الطيب المتنبي حين قال :

صحب النـاس قبلنا ذا الزمـان
وعناهم من شأنـه ماعنانـا

وتولـوا بغصة كلهـم منـه
وان سـر بعضهـم أحيـانا

ربما تحسن الصنيع لياليـه
ولكـن تكـدر الاحسـانا

لقد جعل اللـه عز شأنه من المحن ابتلاء صادقا يمتحن به المؤمنين المخلصين ، فقال عز من قائل : ـ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون . ـ .

أدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة الفجر ذات مرة ثم تطلع الى من وراءه من الناس فوجد متمما بن نويرة يجلس في زاوية هادئة من المسجد وقد وضع رأسه بين يديه كمن يفكر في شجن مرير من شجون هذه الحياة فنهض أمير المؤمنين من مكانه ودنا منه فحياه واخذ يسأله عن نفسه ثم استنشده آخر ما قال في رثاء اخيه مالك . فاسترسل الشاعر في ابداعه يسمع عمر اخر ما قال ، وعمر يصغي للتعبير الصادق ويلتمس باحساسه المرهف ما وراء هذه الزفرات ثم انحدرت دمعتان ساخنتان على خدي الخليفة عندها تطلع اليه الشاعر المحزون وسأل متعجبا .. مايبكيك يا امير المؤمنين ؟ فقال له عمر في صوت تخنقه العبرة وتعوقه الزفرة .. ـ وددت اني كنت شاعرا فأرثي أخي زيدا بن الخطاب بمثل قولك ـ ..

وكنا كند مانى جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن نتصدعا

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا
اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فلما تفرقنا كأني ومالكــــا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معــا

فتطلع اليه متمم ثم قال لو مات أخي مالك على مثل ما مات عليه زيد بن الخطاب لما رثيته فانطلق بالبشر وجه الفاروق وصاح متهللا :

والله ما عزاني احد بمثل ماعزاني متمم فالحمد للـه رب العالمين .

بشراك يا امـاه ..

قال محمد بن خلف : كان لابراهيم الحربي ابن ، وكان له احدى عشرة سنة وقد حفظ القرآن ولقنه من الفقه والحديث شيئا كثيرا على حداثة عمره ثم امتحن بفقده فجئت اعزيه فقال لي في هدوء كنت اشتهــي موته !! فتعجبت كثيرا وقلت :

يا ابا اسحق انت عالم الدنيا تقول مثل هذا في حبيبك وقد نبه ، ولقنته الفقه والحديث فاسنـد رأسه الى الحائط واطرق قليلا ثم قال : لقـد رأيت منذ عام في النوم كان القيامة قد قامت وكان صبيانا بأيديهم القلال فيها الماء يستقبلون الناس فيسقونهم وكان اليوم حارا شديد الحرارة ــ فقلت لاحدهم : اسقني من هذا الماء فنظر الي ثم قال : لا ، لسـت ابي فسألت اي شيء انتم ؟ فقال قائلهم : نحن الاطفال الذين متنا في الدنيا وخلفنا آباءنا نقوم اليوم فنسقيهم بالماء .

لقد امتحنت يا أماه بفقد اولادك بعد أهلك الواحد بعد الاخر ، فالذي لم تفقديه طفلا فقدته شابا والذي لم تفقديه شابا فقدته رجلا . وكنت في جميع حالاتك صابرة شاكرة ، فهنيئا لك برضوان الله ورحمته ، وبشراك يوم يستقبلونك وبأيديهم قلال الماء فتشربين في ذلك اليوم شديد الحرارة الذي : هو ــ كألف سنة مما تعدون ــ .

في الاثر ان ابا بكر رضي الله عنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قول الله ــ ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ــ وقال : نكل سوء عملناه سنجزي به فكيف الخلاص يارسول الله ؟ فقال النبي عليه السلام : غفر الله لك يا ابا بكر الست تحزن ؟ الست تمرض ، الست تنصب ؟ فهذا ما تجزون به ، وان ذاك بذاك .

لقد كنت يا أماه المرأة التي لا تعرف من الحياة غير بيتها ، ولا تبتغي غير ما فرض اللـه عليها في حدود واجبات هذا البيت ، وما اثقل هذه الواجبات ، وما اقسى القيام بحملها بعيدة عن كل ما يغري من زخرف هذه الحياة .. وهل هناك اقدس واسمى من الواجب الاكبر .. واجب الزوج وواجب الادولاد ، وواجب العائلة ، وواجب البيت .

لقد كنت الزوجة الصالحة . لقـد كنت الام الحنون ، لقد كنت الاخت الواصلة البارة . ورغـم ما لاقيته في حياتك من نكد وكبد وحزن لا ينقطع ، فقد كنت تشعين بالرغم من ذلك حبا صافيا لكل من حولك .. لاهلك .. لاقاربك .. لصحبك .. لجيرانك .

لقد كنت المرأة الراضية القانعة الصابرة المخلصة المحبة المجاهدة في كل شيء . انه الحب وكفى ..

صورة محزنة ...

دخلت حجرتها ورأيتها ممددة على فراشها وقد امتقع لونها وغارت وجنتاها وانحلها السقم وفقدت وعيها فلم تعد تحس ما حولها ، فتملكني الزعر والجزع واغرورقت عيناي بالدموع .. وكانت زوجتي واختاي الى جوار فراشها ، وهالني مرة ثانية ما رايته باديـا في وجه من حولي من دلائل الحزن ، وسرت الرعدة في في جسمي حين رايتها في غيبوبة تشبه غيبوبة الاحتضار وقلت لنفسي مشجعا والدموع تسيل من عيني لاتقلقوا انها سوف تشفى باذن الله ..!! ثم تشجعت واحتضنتها واجلستها على صدري ووضعت وجهي في وجهها وقلت محاولا اخفاء اضطرابي وجزعي وعجزي عمن حولي . لا بأس عليك يا اماه .. !! وقلت في نفسي اهكذا تكون النهاية ؟ كانت بالامس ملء السمع والبصر .. كانت بالامس صحة ونشاطا وحيوية وجمالا .. كانت لا تفتر عن اداء عشرات المهام المنزلية .. كانت طالما ساهمت في الكثير من اعمال الخير والرحمـة فأصبحت الان كقطعة من الثلج فوق فراشها .. يا سبحان الله ..

لقد تداعت أمامي عشرات الصور وانا انظر اليهاولا أملك الا ان أقول .. انا لله وانا اليه راجعون .. لقد تذكرت قولها لي في يوم من الايام ليس ببعيد عندما قالت : اني اريد ان أكلمك على انفراد فطلبت من الجميع الخروج من غرفتها وانحنيت عليها فسمعتها تقول : في خزانة الملابس بحجرتي أشياء تخصك دون غيرك لاني قد اعطيت اختيك ما يخصهما وهذا هو ما يخصك ، فقلت لا حول ولا قوة الا بالله قولي خيرا ان شاء الله ، انك بصحة جيدة ولن يكون الا الخير ولكني رغم هذا لم أستطع منع تدحرج الدموع من عيني .. لقد رحت في غيبوبة .. لقد اصبحت فريسة للذكريات والافكار التي اختلطت في ذهني ، والتي حاولت جاهدا ان اتجاهلها ، ولكنها الحت علي بشدة ، واسلمتني لنوبة حادة من الحزن والقلق .

من ذكريات الطفولة :

انني لا ازال اذكر صورة من صورها التي كنت اراها عن قرب وهي تعمل وتتعب وتكافح ليل نهار بين المزرعة والدار من اجل اسعاد اطفالها الصغار ، من اجل ارضاء زوجها ، من أجل اسعاد اسرتها الكبيرة ، من أجل أن توفر لهم ما يمكن توفيره مما يحتاجون اليه ، لقد كانت أول من يصحو في الصباح مع خيوط الفجر في كثير من الحالات وأخر من ينام في الهزيع الاخير من الليل ، لقد كنت أراها واقفة في المطبخ تعد ما يمكن من الطعام لاسرتها ، وفجأة أبحث عنها فلا اجدها ، فيقال انها في المزرعة هناك ، فأبحث عنها في المزرعة ، فيقال : انها ذهبت الى ـ المنحاز ـ فأبحث عنها عند ـ المنحاز ـ فيقال ذهبت الى ـ الرحى ـ فأبحث عنها عند ـ الرحى ـ فيقال : ذهبت الى المطبخ ، فابحث عنها في المطبخ ، فيقال : ذهبت لتأتي بالوقود وما ادراك ما الوقود انه ـ الجلة ـ وسعف النخل ، أما الارطي ـ أما السدر اما ـ الحمظ ـ أما ـ العاذر ـ اما ـ السمر ـ فهذه جميعا اشياء صعبة المنال ، واذا وجدت فيحتفظ بها للقهوة لمجلس الرجال لا للمطبخ ، فهي دائما من ـ المعلف ـ الى ـ المنحاة ـ ومن المنحاة الى ـ المراس ـ ومن ـ المراس ـ الى ـ المحصد ـ ومن المحصد الى ـ المنحاز ـ ومن ـ المنحاز ـ الى ـ الرحى ـ ومن الرحى الى المطبخ ، وهكذا دواليك لا تكاد تنتهي من عمل حتى تبدأ عملا اخر ، فأعمال المزرعة كما قلنا لا اول لها ولا اخر من سقي وحصاد ورعاية ما شية ، اما البيت ومشاكله من غسيل ملابس واعداد طعام وتنظيف وخياطة وحياكة وسف للحصير والمراوح والقفاف والمطاعم والمبارد والاقفاص .. و .. و .. الخ ..

وكل عمل صغير وكبير فحدث ولا حرج لقد كانت لا تعرف الراحة يوما ما ، كانت حياتها كلها عملا متواصلا من اجل اولئك الذين تحبهم وترعاهم .

والشيء المؤلم انه لا يوجد هناك من يشعر بقيمة هذه التضحيات التي تقدمها لزوجها واطفالها واسرتها عن طيب خاطر .. لازلت اذكر وما اكثر ذكريات الطفولة .. لا زلت اذكر عندما كنت اقول لها تعالي يا أماه .. تعالي حديثني عن شيء من قصصك الحلوة المسلية .. دعيني استمع الى حديثك الحلو الذي عودتني اياه . دعيني اسمع تلك القصص التي كنت تروينها لي قبل النوم كل مساء عندما كنت طفلا صغيرا ابحث عن الحب .. كل الحب .. داخل قلبك الحنون.

لقد كانت دائما قريبة مني ، ما اسرع ما مرت الايام ودار الزمن ! ان حياتها قصة خالدة تعلو فوق كل القصص ، لقد اعطت لاسرتها كل حياتها .. اعطت لها نفسها وكل ما تملك .

لقد لاقت في حياتها ما ملأ قلبها بالخوف والقلق على ابنها الوحيد وجعلها تتعلق به تعلق الطفل بأمه فكانت تسبغ عليه كثيرا من العطف وتبدي له كثيرا من اللهفة وهي طبعا لا تشعر انها بعملها هذا انما تعرقل النمو لديه وتعطل تطوره وتحكم عليه بان يظل طفلا مدى الحياة .. قد يبدو مثل هذا غريبا للذين لم يعيشوا مثل هذه الحالة وهم

لاشك معذورون لانهم لا يعلمون ان هذا الشيء يصير ويجري رغم انف الام لانها في قرارة نفسها لا تحتمل فراق ابنها الوحيد وابتعاده عنها – خصوصا اذا كان – الى امراة اخرى .. لقد كنت اقدر بانها ترى بعين خيالها شبح هذه الزوجه فكانت تضع الحواجز بيني وبينها لانها عليها رحمة الله تريد الزوجة الملائمة لها لا لي .. فلما وجدت الزوجة التي تريد اعلنت صراحة معارضتها لي في رغبتي عندما اردت الزواج من غيرها. ولقد اسعدني كثيرا عدم كبتها لمشاعر القلق حول ذلك لان هذا بالتالي جعلها تعيش من فضل الله هادئة البال تعيش واسعة الصدر متسامحة سعيدة بالحياة التي تحياها .. ولم تكن في يوم من الايام تعيش خوفا والما لذلك المصير المجهول ، وقد نزلت عند رغبتها فلم اتزوج سوى تلك الزوجة التي لائمتها وارضتها ، وسأبقى محققا لرغبتها بعد موتها انني لن اتزوج سواها وفاء لامي وتقديرا لخدمتها لها التي لا انساها ما حييت .. ولا اعتقد ان هناك انسانا مهما كان هذا الانسان لا يقدر ما تحملته الام المسكينة في سبيل ابنها منذ حملته وولدته وارضعته ثم ربته .. ومن ذا الذي لا يرى لها العذر في لهفتها على بقائه بجانبها ما دامت حيـة ..

كانت دائما تراني طفلا مهما كبرت .. كانت تسألني اذا تأخرت عن المجيء الى البيت ولو دقائق عن الموعد المحدد : لماذا تأخرت ؟ واين كنت ؟ كانت ترى بأني مهما تقدمت بي السن فاني لا أزال في حاجة الى رعايتها وتوجيهها وكذلك كان والدي ، عليهما جميعا رحمة الله ورضوانه – يشعر نحوي مثل شعورها واكثر ..

وما استاذنتها يوما في سفر الا ورجتني ان اعدل عن هذا السفر ، واذا قلت لها انك بهذا تحولين بيني وبين مستقبلي في هذه الحياة يكون جوابها – ومستقبلي انا .. انني اعيش لك وانا كما ترى ياولدي فرغت مني الايام .. الا تستطيع ان تبقى بجانبي الى ان اغمض عيني وانت امامي لتدسني في التراب ...

الشعور الغريب :

وبعد ان واريتها في التراب ورجعت الى بيتي ورأيت غرفتها انهمرت الدموع من عيني وان كانت لم تكف عن الانهمار – اذ تصورتها كما كنت اراها هنا وهناك وتذكرت ابتسامتها الحنون ودعاءها الصادق وهي تنهض من مضجعها لتحييني وتدعو لي من كل قلبها وقبل نفسها .. ولكن الغرفة هذه المرة كانت خاوية ساكنة .. وكأنها لم تكن مسكونة في يوم من الايام .

وخالجني شعور غريب لا استطيع تصويره يقول بان روحها – عليها رحمة الله – ترفرف باجنحتها العلوية في جو الغرفة .. انني حتى الان لم اجد الشجاعة الكافية لفتح خزانتها رغم تكريرها علي القول بطلب المسارعة بذلك بتوزيع ما هو بداخلها على المحتاجين والاقارب .. لماذا .. ؟ لانني لا استطيع تحمل ما سوف الاقيه بعد ذلك عندما ارى ملابسها قديمها وجديدها مع مجموعة الهدايا وانا اعرف ان شيئا منها لم يستعمل .

لا استطيع فتح هذه الخزانة لانني سأجد فيها كل شيء يتصل بي : من حذائي في طفولتي الى صوري الى ملابسي على اختلاف مراحل العمر الى ادوات اللعب التي كنت اوثرها وانا طفل مع عشرات الصور مقطوعة من الجرائد والمجلات التي تنشر فيها صوري . اما مجموعة الخطابات التي اعرف انها تحتفظ بها والتي كنت ابعث بها اليها بعد سفري لاول مرة ابتعدت فيها عنها منذ ثلاثين سنة فلها قيمة لدى لاتحدد .. لماذا .؟ لانها مكتوبة بخط رديء مليء بالاخطاء لكنني لا استطيع الوصول اليها .. لماذا ؟ لاني لا أزال اذكر آثار الدموع عليها عندما رأيتها لاول مرة بعد عودتي من السفر .

رسالة من صديق :

لقد كتب الي احد الاخوان الكرام معزيا مواسيا قائلا : (هينا بقينا عشرات السنين .. ماذا وراء البقاء المتطاول غير السأم الذي عناه زهير بن ابي سلمى عندما قال) : –

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا ابالك يسأم

وكما قال عبيد بين الابرص :

والمرء ما عاش في تكذيب
طول الحياة له تعذيب

او كما قال المستوغر وكان من المعمرين حتى لقد رووا انه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة ، ولما بلغ الثلاثمائة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولهـا

وعمرت من بعـد السنين مئينـا

ها ما بقي الا كمـا قـد فاتنـا

يـوم يمـر وليـلة تحدونـا

لقد رووا ان ملك الموت لما اتى نوحا عليه السلام بعد ان عمر ما عمر قال له كيف رأيت الدنيا فقـال كدار لها بابان دخلت من هذا وخرجت من هذا ..
وفي الحديث كفى بالسلامة داء .
قال حميد بن ثور :

ارى بصرى قد رابني بعد صحة

وحسبك داء ان تصح وتسلمـا

وقال الافوه الاودي :

كانت قناتي لا تلين الغامـــز

فالانهـا الاصبـاح والامسـاء

ودعوت ربي بالسلامة جاهـدا

ليصحنـي فـاذا السـلامة داء

وقال زهير :

رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى

فكيف بمن يـرمي وليس بـرام

فلو أنني ارمـي بنبل رأيتهـا

ولكننـي ارمـي بغيـر سـهام

وقال النابغة :

اضحت خلاء واضى اهلها احتملوا

اخنى عليها الذي اخنى على لبـد

وقال لبيد :

ولقد سئمت من الحياة وطولهـا

وسؤال هذا الناس كيف لبيـد

وحشة القبر :

لا اعرف الى متي سأبقى اتلفت من حولي اسأل عن تلك الوالدة العظيمة الرقيقة الكريمة الباذلة الفادية والحافزة الملهمة تلك التي تعرضت لما هو اقسى من الموت في حياتها في سبيل زوجها وابنائها وعشيرتها .. لقد رحلت الى حيث لا يئوب مسافر ولا يعود راحل .. فتحية الى القبر الذي احتوى النفس الشريفـة والقلب الكبير والوجه البشوش . تحية الى القبـر الموحش الذي كنت تذكرينه بين لحظة واخـرى وتخافينه خوفا شديدا ، ذلك الخوف الذي كـان مصدر ازعاج لك طيلة الحياة ، لا أزال اذكر ما كنت تحدثيني به عن القبر ووحشته .. وحشة ليسـت وحشة العزلـة كما يستوحش الحي من عزلته ولكنها وحشة ورهبة من ضيقه وظلمته يوم يتبدل كل شيء .. انني ارجو ان تكون هذه الوحشة مصـدر انس وسعادة .

روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

« من احب لقاء الله احب اللـه لقاءه ومن كره لقاء الله كره اللـه لقاءه قالت عائشة رضي اللـه عنها ـ او قال غيرها ـ انا يارسول اللـه لنكره الموت فقال صلى اللـه عليه وسلم ليس ذاك ، ولكن المؤمن اذا حضر الموت بشر برضوان اللـه وكرامته فليس شيء احب اليه مما امامه فأحب لقاء اللـه واحب الله لقاءه .. وان الكافر اذا حضر الموت بشر بعذاب الله فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره لقاء اللـه وكره اللـه لقاءه » .

حديث صحيح رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي .

وهكذا انقطع ما بيني وبينك من مواصلات ولـن يصل اليك بريدي بعد الآن .. جفت الاقلام وطويت صحف الحب بالرحيل.. اني عندما اقوم بزيارتك لا اقوم بها لاحيي ذكراك ولكن لابحث عن نفسي هناك، لقد دفنتها معك عندما دفنتك وعدت والحزن قد حفر لك قبرا في قلبـي .

لقد اصبحت تمضي الايام ولم اعد استعجـل عودتي من الاسفار، فلم يعد هناك من ينتظر بالحب الذي لا يطاق للغائب حتى يعود !!

لقد ذهب الى غير رجعة من كنت اقول له اغلى ما لدي من الكلام القد اصبحت كلماتي حبيسة صدري .. والي من اقولها .. واذا قلتها .. فهي مرتبـة موصولة .. لا استدعى فيها الاحزان ـ كما قلت ـ ولكن ابكي فيها اشيائي الجميلة التي غابت يوم غابت امي عـن هذا الوجود الفاني .. !!

وما مر من يوم على كيومهـا

وان عظمت ايام اخرى وجلت

ـــ ـــ ـــ

وكنت ارى هجرا فراقك ساعة

الا لا بل الموت التفرق والهجـر

عبد العزيز عبد اللـه الربيعي

تشرين و نيسان و الشاعر
على
ضفاف العاصي

محمد حسن منجد

نيسان عفوك هل تصفو الاغاريد
أم جف كرمي ولم تحل العناقيد
بالامس صغت لك الآمال قافية
نشوى لها في ثنايا الخلد ترديد
أيام كنت على العاصي نديم هوى
أشدو ويرقص فوق الماء أملود
واليوم اذ لا هوى في القلب ينفحني
شعرا ففي الحب للاشعار توليد
ماذا أقول وفي صدري نزيف أسى
من جرح لبنان يانيسان مرفود
وملء سمعي أنات وحشرجة
وملء عيني ليل الظلم ممدود

★ ★ ★

أين البساتين والليمون ينفحها
عطر الحياة وأين الناي والعود
أين الحساسين يالبنان هل غرقت
في أبحر الدم أم هشت لها البيد
أين المراكب يالبنان مشرعة
يجري بها السحر والغيد الاماليد
ياعيد مهلك نيسان الهوى ذبلت
أزهاره البيض في لبنان ياعيد
حسب الاماني التي وافيتها مزقا
ساق هنا وهناك الزند والجيد
وحسب أزهارك البيضاء يخضبها
ثغر بحب لآلي السحر منضود
ومعصر تأكل النيران جثته
وموسر لم يجد للقتل مفقود
وطفلة لم تزل تلهو بدميتها
شقيقها في ركام القصر موءود
هذي الضحايا التي ضجت براءتها
يندى لها خجلا في القدس جلمود
هنا بلبنان تشريد ومذبحة
وفي ربى القدس تهويد وتشريد
هنا بلبنان نصل الحقد منصلت
وفي فلسطين سيف الثأر مغمود
فكيف وافيت يانيسان لا سلمت
يد الزمان وقلب العرب مفؤود
ولا ترنم شاد غير ذي شجن
ودوحنا فيه تنغيص وتنكيد
يا أمتي كم أحب العيد مرتديا
ثوب الصفاء وبند النصر معقود

أخشى من الجرح بعد اليوم يقتلنا
وما له في مشافي العرب تضميد
ماأشبه اليوم بالامس القريب فهل
هان الاباة وهل مات المذاويد
كأن تلك الضحايا لا لسان لها
يوم الشهادة يخشاه الرعاويد
مقرنون بأصفاد مذهبة
فهل يجيد قراع الخصم مصفود
ممثلون .. لكل دوره ولهم
خلف الستائر تلقين فتجويد
ممثلون .. ألم تلمح سرائرهم
تحت البراقع تخفيها التجاعيد ؟!
ممثلون .. وفي أضواء مسرحهم
يقضي الاباء ويغتال المناجيد
لم يبق في جعبة التهريج منقصة
الا وبات لها خلق وتجديد

★ ★ ★

عوت ذئاب على لبنان وانتظرت
حتى أتاها صدى في الليل مردود
تثاءبت .. لم تنم .. فالجوع أرقها
وناعق من لظى تشرين مجهود
كانت على موعد تخفي براثنها
وفي الصباح بدت أعلامها السود
فلا القتيل شهيد في مواقعها
ولا الكمي من الجيشين محمود
سخرية الدهر هذه الحرب لاسلمت
يد لها في شعاب الارز تأييد

★ ★ ★

الى الحدود على الجولان موعدنا
وفوق سيناء يوم النصر مشهود
يوم تصرف فيه الامر عزتنا
فلا دعي ولا وغد ورعديد
يا شهر نيسان ما جفت مرابعنا
ولم يفز بثمار النصر موعود
يا شهر نيسان هل يصفو الزمان لنا
وهل يعاود طير الدوح تغريد
ماذا أقول وقد كفنت خافيتي
بالحزن فالشعر أنات وتنهيد
بات الغناء نواحا في مرابعنا
وأخرس اللحن واغتيلت أناشيد
اني لأخجل من نظم القصيد على
نقر الدفوف وصرح الامن مهدود
ماأهون الحبل مشدودا على عنقي
وما أشق كلامي وهو مشدود

ديوان اغانٍ من ارض كنعان

للشاعر خليل خلايلي

تحليل ونقد
الدكتور محيي الدين رمضان

مقدمـة :

ليس كعمل المرء نفسه يعرّفه الى غيره من الناس ويقدمه اليهم ، لكن في هذا تعميما لا يرتضى في مثل وقتنا هذا ، وأرباب القلم كثير ، والقراء في بلادنا قد سرت اليهم عدوى العجلة في كل شيء بل انهم اكرهوا على العجلة ، والحياة تنقلب مظاهرها المادية ، وتقتضي ان يقفوا بسرعة على كل شيء ، ويعرفوا طرفا مختصرا يسيرا يكفيهم مؤونة ضياع الوقت الذي كانت تستدعيه القراءة المعهودة ، خاصة فيما عرف من مثل هـذه الالوان من القراءة قبل الخمسينات من هذا القرن الذي نعيش .

وفي كل حال ، فان في وقف كاتب ، يعرض لعمل ادبي ، على جوانب بعينها من حياة صاحبه والتعريف به خيرا من تركه غفلا ، يضل القارىء فيه ، او يسأم البحث عنه ، ففيه لون من التمييز ، وفيه ضرب من التقويم .

التعريف بالشاعر :

والشاعر الاديب ، **خليل خلايلي ، يمكن ان نجده** في بعض من شعره في ديوانه نفسه ، فليس أصدق من كلام المرء في الحكم عليه ، وتبيانا لما عنده ، وقديما قال الشاعر :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

احساسه بالغربة :

فهو من فلسطين ، من ديار لا يحس بانتسابه اليها الا من اغترب عن بلاده او اكره على المهاجرة عنها. وحيل بينه وبين أن يعود اليها ، ففي معنى ذلك يخاطب الشاعر ابنه قائلا :

بني نحن أناس
من الديار السليبة

ويقول :

من قمة الف نجم
جر الذيول عليها
ويقول :
بلادي جنة الدنيا
ورمز جمالها المطلق .
الوان من آلامه :

غير ان في بعض هذه الترجمة عن احساسه بانتسابه الى وطنه يكشف عن جانب خطير مما عرض له وعرض لغيره مهاجرا مغتربا، مما طالما أساء الى ذاته وضغط على فؤاده حتى انحاز به الى شيء من الوحشة من الناس حوله غير بني وطنه السليب ، ولننظر في هذين البيتين اللذين فيهما كثير من التفسير لحشد من مثل هذه الظاهرة في سلوك المغتربين قولا وفعلا ، يقول :

ولست مفاخرا احدا بأني
من النسب الرفيع على نصيب

ولكني كفاني الفخر أني
من الوطن المكلل بالطيوب

ومثل هذا الفخر جديد ، وان تضمن الفخر العربي جانبا منه .

ولم تكن المهاجرة هي غاية بؤس الشاعر وغيره من أبناء وطنه ، وانما كانت فاتحة ليال متوالية حوالك ، اهونها تلك الخيام التي لملمت بعضا من شمل هؤلاء الشتيت ، والمسغبة التي ضربت بجرانها على صغارهم ، والعوز الذي ألح عليهم دون أن يذلهم لاكثر من هذا الفتات الذي تقدمه هيئة الامم . وقد عرض للشاعر ما حمله على ان يلغي عمره بعد أن نجا من غمرة كادت تذهب به ، يقول :

انا قد ولدت الان يا امي ويخطىء من يقول :
اني تجاوزت الثلاثين الطوال
من سني عمري الهزال
ابدا
انا ما عشتها تلك السنين
لا شيء يشعرني بها
لا امس لي لا ذكريات
وفؤادي المكلوم مات

ومثل هذا الاستغلاق في امل الحياة معهود في كثير من الشعراء ، لان شعورهم بالحياة متذبذب ابدا بما يعرض لهم ، حتى شعاع الشمس تطمسه سحابة تترك في انفسهم اثرا يثير فيهم شعورا ما . غير ان ما اصاب ـ خليلا ـ اكثر مما يحتمله الا رجل كتب الله تعالى عليه مثل ذلك لامر نجهله ، ولكن نتجاوز فنفسره بانه قدر شاعر . ولالوم عليه في مثل هذه الآهات الطوال .

اعتزازه وصموده :

وشأن الشاعر شأن اخوته من ابناء شعبه ، لم يثنيه شيء من هذه الملمات ، ولا نالت من كبريائه ، ولا انعطفت به عن سبيله الذي بداه ، فها هو ذا يصف طريقه في الحياة :

والتضحيات هي الطريق الى العلا
فاذا مشيت على النجيع تسود
أبني ابي لكم المحامد كلها
والمجد فيكم طارف وتليد

ويقول :

سنعلم الاجيال أجيال الورى
ما التضحيات وما الهوى المنشود

سنعلم الدنيا وكل أناسها
كيف الشهادة يبتغيها الصيد

وقد اقترن اصراره هذا على التضحية ، ودعوته الى الفداء بارث أمته الحضاري ، فلم تطف كلماته مع نار العاطفة الثائرة ، فهو يقول :

فأنتم قروم من اصول عريقة
لها ذكريات فوق هذي الاباطح

سيوف بني مروان تلكم سيوفكم
تمد بها ايدي رجال جحاجح

ويقول :

فهيا نلم الشمل يا آل يعرب
ففي لم شمل العرب نجح لناجح

فتلك بعض من ملامح الشاعر ما بين فراقه وطنه مهاجرا وتلبثه ، ينتظر العودة ، ويعد لها ، ويشارك فيها .

— — —

موضوعات ديوانه :

وأما موضوعات هذا الديوان فهي اربعة على نحو ما صنفها الشاعر نفسه ، جعلها على هذا الترتيب ، أغنيات للوطن ، أغنيات للحب ، أغنيات الثورة ، اخوانيات .

وبمناقشتنا لتوافق هذه الموضوعات نجد أن التلازم بينها شديد ، بل انها متداخلة المعاني ، ممتزجة الافكار ، متلاحمة الشعور . فهو يخاطب حسناء صادفها قائلا :

بخلت علي بشيء يسير
واهلك كانوا قديما كرام
مررت بدربي فرف الضياء
وغبت بعيدا فعاد الظلام

فما الظلام الذي عاد ؟ انني ارجح ان يكون ظلاما بذاته ، غير ما يمكن ان يتبادر الى الذهن لاول وهلة ، وهو غياب الحسناء ، ولم يكن الشاعر رآها ولا كان بينه وبينها شيء ، وانما هي مصادفة ، جلت عن فؤاده المغتم بأسى عميق هو تشرده وآهته الجارحة في فمه ، منذ فارق دياره ، فهذا هو الظلام الذي عاد .

ومثل هذا تغنيه بجمال بعينه اذ يقول :

عيناك نرجستان قد
نمتا بحضن الجرمق
فوق السفوح الرانيات
الى مدانا الازرق

ومثله قوله :

من اين ياعصفورتي
روائع الجمال
امن مجالي وطني
من موطن الجلال

والجرمق من جبال شمال فلسطين والنرجس من أزهار هذه البيئة البيضاء . ولكن ما الرنو يصف به السفوح ؟ اليس في هذا اشارة صريحة الى واقع الشاعر ، وكل المهاجرين النفسي في انتظار يوم العودة؟

وكذا الحال في موضوع اخوانياته ، اذ تختلط الوطنية وتوديع عزيز ، فمن ذلك – رثاء هايل – يقول :

فمن رأى الجرمق الشماء قمته
ينوء ذلا واني قد بكى احد

ويبدو هذا اعمق في – رثاء فايز – اذتردد في قلبه معاني القومية وهو يسأل قائلا :

من اين انت ؟ وقد شممت بصوته
صوت الوليد ونبرة هشام
وأجاب تدعمه بليغ فصاحة
استاذ اني من ربوع الشام
بكت القلوب عليه يوم فراقه
لا كنت يا يوم الفراق الدامي

ففي هذا السؤال مفتاح قضية الشاعر الذي يحس بالضياع ومن من هؤلاء المهاجرين لا ينكأ هذا السؤال جرحه ، شعور بالفقدان والضياع .

وأي مذلة للمرء العربي انكى من الطعن في نسبه او الحط منه ، ثم تذهب تسأله عن اصله ومحتده قصد اهانته ورميه . ولننظر في هذا الشطر :

صوت الوليد ونبرة هشام

فأي حرص عند الشاعر على مثل هذا الانتساب والرفعة فيه والالحاح عليه في غير موضع . ومثله افتخاره بانتسابه الى وطنه السليب قوله :

ولكني كفاني الفخر اني … من الوطن المكلل بالطيوب

وهل الفراق المبكي هو فراق المرثي فحسب ام انه فراق الوطن ، او انه فراق فقيد جدد شجون مفارق لوطنه ، وأي فراق كان ، وقد كان داميا . وهل ينظر في فقدان عزيز على أنه دام ، وان كان حتفه في السقوط من على السطح . فان وصف الفراق بالدموية معنى يتجاوز رثاء فقيد الى مضمون نفسي ، يجيش له صدر الشاعر منذ فارق دياره ترتسم في ذهنه معالم هذا الفراق بصور ومشاهد لا تمحي .

– – –

معانيه وأفكاره :

ويبدو الشاعر في أفكار قصيده واضحا ، لا يكاد يغرق فيها فيطغي الفكر عليه ، ولا يكاد يصيب منها الا ما يحتمله الشعر . فقصيدة – بلادي – توشك الا تأخذ بغير فكرة الوطن وجماله ، الا ما يعرض مما له صلة بهذه الفكرة ، من نحو اجتماع شمل مواطنيه على اختلاف عقائدهم ، وهو قوله :

بلادي صوت ناقوس … على هضباتها يقرع
وصوت مؤذن عذب … بكل حنانه يسجع

ومثل ذلك قصيدة – احببتها – فهو لا يأتي بغير فكرة حب وطنه الا ماله مساس بالفكرة نفسها مثل قوله :

أحببتها منائرا … تناطح الغمام
تذيع من شموخها … مبادىء الكرام

واذا المبادىء الكريمة ليست الا خاصة من خصائص الوطن المفدى . حتى قصيدة – في ذكرى ايار – وقد تعددت جوانب الفكرة ، فلا يقفنا تعدد حاد ، فهو يقرن هذه الذكرى بشيء من التاريخ فيقول:

نسب يشد على الحوادث ازرنا
في ذروة النسب الرفيع نزار

لنا من أمية قدوة لفعالنا
تاهت بذكر امية الاشعار

حتى يخلص الى قوله :

قد طاب ذكر الخالدين على فمي
وحلا لنفسي ذلك التذكار

ابني فلسطين الحبيبة كلكم
اسد وليست بجمعكم خوار

فذلك من قبيل التوافق من نحو ، وليس فيه شطط او اغراق من نحو اخر .

ويمكن أن يتقرر مع هذا ان الوحدة الموضوعية سمة قصيده في الديوان اجمع . ويلزم عن هذه الظاهرة حسن الاستهلال والتخلص . ويلاحظ قارىء

الديوان ان الشاعر ذو اقتدار ولطف تأت في بدء قصيده ، لا يخطئه ذلك في ديوانه كله ، ويغلب على حسن استهلاله تلازم بينه وبين عنوانات قصائده ، فمن ذلك نحو قوله في قصيدة — بلادي — :

بلادي كعبة الاحرار   منذ زمانها الاول

وقوله في قصيدة — غدا يطل سؤال — :

غدا يطل سؤال
من الشفاه الصغيرة
يصيح بابا وماما

وقوله في قصيدة — امتي — :

امتي ثوري على البغي ولا
ترتضي في الذل عيشا اطولا

فهذه جراة المتمكن الذي امتلأت نفسه بالمعنى وتهيأت له أسباب القريض في غير تعمل او تلجلج .

وحسن التخلص يتبدى لنا في نحو قوله من قصيدة — غدا يطل سؤال — :

بني نحن اناس
نضيع دنيا ودينا
ان لم نخل المنايا
تطوف بالغاصبينا

فهذه خير نهاية يمكن ان تتضمن هذا الجواب يجيب به مهاجر فلسطيني ابنه الذي يسأله عن وطنه وقصة المهاجرة ! ومثل ذلك قوله في قصيدة — أحببتها — :

أحببتها في يقظتي   كذلك في المنام

فهل عرفتم غادتي   تلك هي الشآم

وذلك بعد تعديد لكثير من اوصاف المحبوبة ، واشادة بمحاسنها وذكر طريف اخبارها . ما الطف تخلصه في قصيدة — ياصاحب الخلق الرضي — :

ياسيدا نال الشهادة
في الحقوق الدنيوية
ماذا تقول بغادة
سرقت فؤادي جامعية
حسناء باكرها النعيم
فصاغها من عنجهية
فاليك عني يا أخي
انت الموكل في القضية

فلو لم يكن ل — خليل — مثل هذه الرهافة ، التي هي سمة كل شاعر ، لما كان لشعره مثل هذه الظاهرة البينة .

— — — —

صنعته :

واما الصنعة في الديوان بعامة فلا تجدها الا في تريث كثير ، ذلك لان الشاعر انفعالي الى حد يذكرنا بأبي نواس وأمثاله . فالكلمات طوع لسان يترجم عن شعور مستوفز ، وقلب حي متوقد ، وخاطر حاضر وذلك في نحو قوله :

ولست مفاخرا احدا بأني
من النسب الرفيع على نصيب
ولكني كفاني الفخر اني
من الوطن المكلل بالطيوب

وقد جعل هذين البيتين تحت عنوان — فخر — فهل تجد فيهما غير وصف الوطن بأن عليه اكاليل طيب ، لم يزد على الوصف ، ولا أضاف الى هذه الصفة شيئا اكثر ، او حاول الاغراق في صورة أو تقيد مشهد مما يجهد فيه الذهن ، وتتأنى فيه المخيلة، غير ان في هذا الوصف جانبا لا يقوم الا به أي جهد لمثل هذه العفوية الظاهرة في نوعية الصفة،وفي كونها وصفا حسب .

ونحو ذلك قوله في وصف بلاده :

بلادي شال راعية
يلف المخمل الازرق
ونفح النرجس النديان
والمنتور والزنبق

وماذا في هذا التشبيه غير نظرة ترددت في مشاهد الوطن على بساجته ، وما الشال ، وما الراعية ، والمخمل الازرق هل هو الا ثوبها الذي لا تطمع راعية او فتاة ريفية في اكثر منه وما النرجس عليه الندى ، والمنتور والزنبق فليست الا هذه الازهار التي تملأ مساكب حدائق الدور بوطن الشاعر يراه ويشاهده . ولكن في اختياره المخمل الازرق لا الاحمر او غيرهما توكيدا لما اشرت اليه من طبيعة — خليل — النفسية . ولهذا فقد نجا من هذه المهاوي التي نرى كثيرا من المتشاعرين بل الشعراء يسقطون فيها وراء سراب خادع ، دفعهم اليها التقليد مرة ، والمحاولة الفجة مرة ، والجهل مرة ثالثة . واذا وقفت على بعض من ذلك استبدت بك غربة وانفصمت صلتك بصاحب الشعر .

ولا اظنني محقا اذا سألت الشاعر في هذا المجال غير ما يتناسب مع طبعه لان الشعر ، وان طلب فيه التصنع بعض الشيء طبع قبل كل شيء .

وقد اجاب الشاعر في صنعته طبعه ملبيا كل اثر، ينزل بساحة نفسه مذعنا لحسه غير ان هذا كله اسلمه الى بعض المألوف القريب منها او المرور الذي استنفذ اثره ، نحو قوله :

بلادي غيل أساد
وفيها للمها مرتع

ونحو قوله :

ويفتلي في جناني
شوق يهز كياني

ونحو قوله :

اميرة قلبي اما من سلام
لقلب يذوب بنار الغرام

اما من حديث رقيق طروب

لنفس تهيم بحلو الكـــــلام

وفي هذا لا يفوت الشاعر ان ينحاز بعمل يسمه بذاته او يثير في قارئه شعورا خاصا ، وليس هذا هو الطابع العام ، وانما في كثير من شعره صنعة معطاءة طريفة ، نحو قوله :

كم مرة في حمانا فوق التلال المهيبة

هفت حشود غمام نحو الديار الحبيبة

سقت حقول الخزام صلت صلاة غرام

ففي وصفه التلال بالهيبة ، وجعله للغرام صلاة شيء من ذلك . وكذا في نحو قوله :

وناي الشباب يلف السكون
بشال حرير يروق النظـــر

ونحو قوله يفخر بالعرب :

وهم الالى قد اطلعـــوا
قمـــر المعارف نـــيرا

ففي نسبة الناي الى الشباب ، وفي هذه النقلة بين الانغام والشال الحرير وبين السمع والبصر ، وكذا في جعله للمعارف قمرا ، مـا يتميز به الشاعر مـــن ســـواه .

ولا حظت أن الرتابة وسمة النثرية تغلب على العبارة الى حد يتوقف معه ، ولا يعتذر عنه بالعاطفة الدفاقة التي تأخذ الشاعر ، وتأخذ عليه السبيل الى شيء من التلبث ، ليجعلها سامية الوزن ، رفيعة النظم وذلك في نحو قوله :

بلادي العطر والانسام
والحسن الذي يسحر
وريا المسك والكافور
والريحان والعنبر

ونحو قوله :

بالامس ياعصفورتي
ثار الهوى في خافقي
واستعرت نيرانه
بكل وهج محرق

ونحو قوله :

في كل يوم للخلود شهيد
يمضي فيعظم فخرنا ويزيد

ففي نحو هذه العبارة تضيع الصيغة الشعريـــة او تضطرب وتفقد أغلب اثرها ، وتنفصم الصلة بينها وبين مالدى القارىء من استعداد للاثارة واحساس بالموسيقى الشعرية التي هي انسجام كمين فــــي النفس الانسانية ، مهما كانت قدرتها الفطرية .

بيد أن العبارة لا تكاد تنحدر هذا الانحدار حتى تعود الى الارتفاع والتحليق في النص الواحد ذاتـــه ، وربما وقفنا على نص بتمامه ، توفرت لعبارته ذبذبة جيدة في مثل قصيدة « ميلادي الجديد » فهي ذات توتر متناسب من أولها الى اخرها ، وحسبي منهـــا هذا النداء المتكرر فيها :

وهناك يا امي دفنت
حيث الضحايا الابرياء
يا أم يطرق مسمعي
يا أم يقترب النداء

وفي نحو قوله :

قل للطغاة الغادرين
والجاحدين حقوق امتنا وموطننا الجميل

....

واني لن أعود
مالم اصل للنصر للنصر الاكيد
بنهاية الدرب المديد ..

ويلي ذلك الكلام على مفرداته ، فان التلازم بين المفردات والعاطفة الراعفة لدى لشاعر بين سلبا فــي استعماله المألوف منها ، وبعض من تلك المفـــردات مبتذل ، فقد أغلب أثره ، وزاد في صفته هذه العبارة الرتيبة التي احتوتها ، ومن ذلك الالفاظ التاليـــة : — كعبة ، الاحرار ، يلف ، نجمة ، وعطري ، حسناء — وغيرها مما يمكن تبينه ، ظاهرة عامة في غير هـــذا الديوان من الشعر المحدث .

واخر هذه الملاحظات هي على قصيدة — قـل لليهود — انها عورة الديوان ، تكاد تكون الواحـدة ، فحبذا لو ان الشاعر اسقطها ، بل الغاها الغـــاء ، وحبذا لو الحق ايضا بيتا من قصيدة — الصامدون — وهو قوله :

مهلا كلاب العالمين الى غـد
ان الفـداة مواكب وجنود

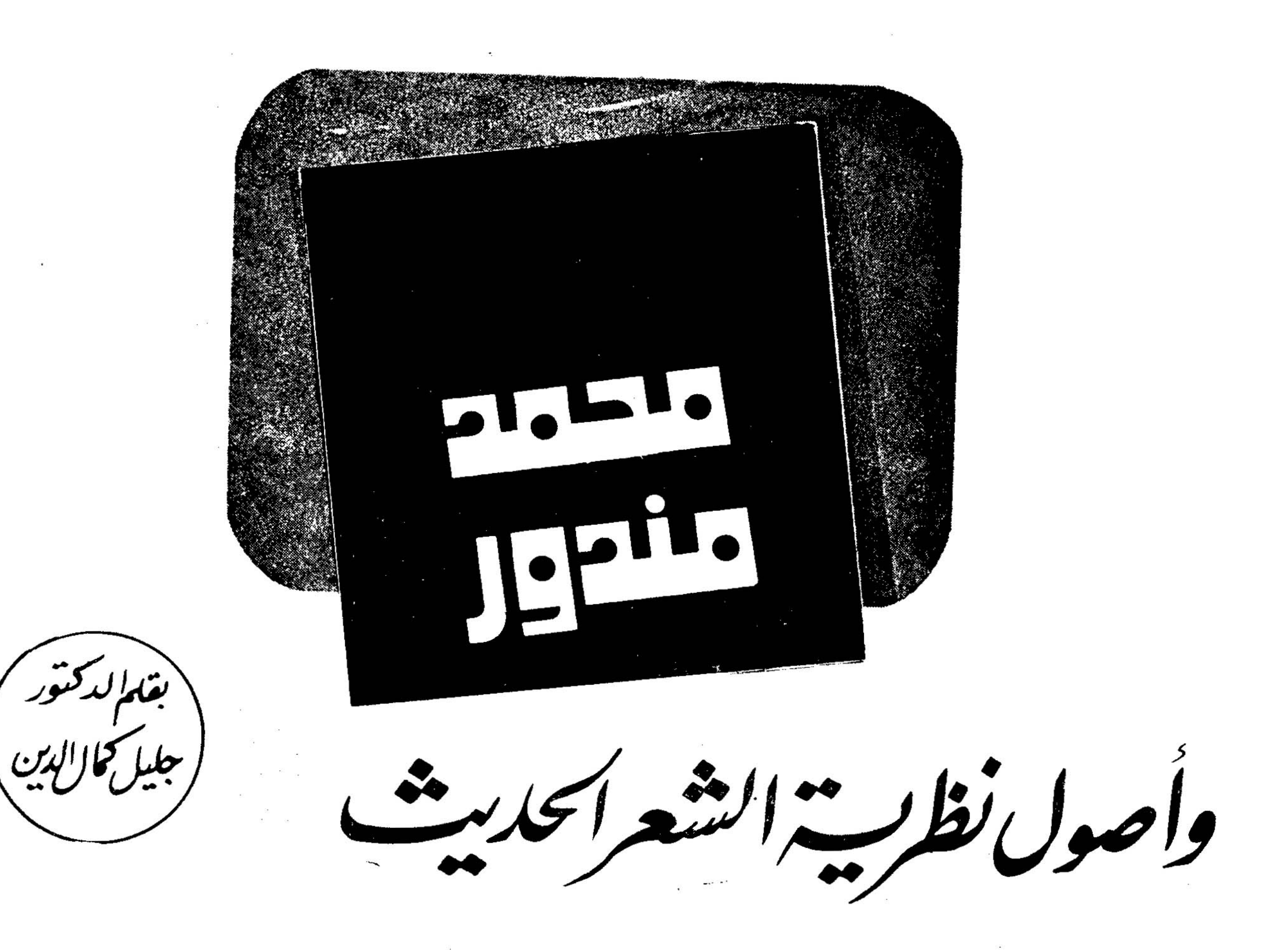
فليس هذا من شعر الثورة في شيء .

خاتمـــة :

ولا تنقص هذه الملاحظات قيمة الديوان شيئا ،

بل ان التمام نقصان ، وهو ليس من شان انسان ، وحسب الشاعر ان تكون له هذه العاطفة الزاخرة تبعث على عبارة ممتلئة بالحياة ، بعيدة من التعقيـد والاضطراب ، وهذا الصدق الذي يعقـد بين النص وقارئه في مواءمة لا تهي ، وتلك الصنعة التي لا غرابة معها ، ولا ثقل فيها تقبض النفس او تنسرب بالمخيلة في متاهات ، وذلك من ابرز خصائص الشعر الـذي يقرأ .

محيي الدين رمضان



محمد مندور وأصول نظرية الشعر الحديث

بقلم الدكتور
جليل كمال الدين

كان الناقد العربي المعاصر ، الراحل الاستاذ محمد مندور ، يصر — كلما تطلبه الامر — على ان النقد الادبي هو كل نص يثير خيال القارىء ومتعته — وهو بالتالي يحتوي بالضرورة — على مميزات جمالية .

وما من شك ان مندور تأثر في ذلك باستاذه في السوربون ، لانسون وبمقاله الشهير الذي ترجمه مندور وضمه الى كتابه — النقد المنهجي عند العرب — تحت عنوان — منهج البحث في تاريخ الاداب — .

وعلى اية حال ، فان مندور لم يتقيد بهذا الموقف ، طوال الوقت ، وقد انتهى اخيرا الى القول بالادب الملتزم ، وربط الادب بالاهداف الايديولوجية ، ودعا الى النقد الايديولوجي

وهنا ينبغي ان نؤكد ان ناقدنا مندور قد مر في حياته النقدية والادبية بثلاث مراحل كانت تعكس عقيدته الفكرية ، واصداء مساهماته ومغامراته في المعترك السياسي والاجتماعي في مصر ، في مطلع القرن العشرين ، وهذه المراحل هي :

١ — مرحلة التأثير الجمالي ، وفي هذه المرحلة كان يحاول ان يتبين معالم الجمال ومصادر التأثير الجمالي في النص الادبي .

٢ — مرحلة التحليل الموضوعي ، وهي المرحلة التي حاول فيها مندور ان يحلل النص الادبي تحليلا موضوعيا ، بعيدا عن الالتزام بنظرية ما .

٣ ــ اما المرحلة الثالثة ، وهي التي تأثر فيها بمفاهيم الواقعية الاشتراكية فجعل يدعو الى الالتزام، والادب الملتزم ، وبات يسمي نقده في هذه المرحلة ، بالنقد الايديولوجي .

وظل مندور في هذه المرحلة امينا لما اعتمده من من مفاهيم ونظريات نقدية ، كان يلخصها بالشكل التالي ، وتحت باب ــ اهداف النقد الادبي ــ بالقول بان اهداف النقد الادبي ثلاثة : الهدف الاول ــ تقييم النص الادبي ــ ولتحقيق هذا الهدف يحتاج الناقد الى حساسية فنية ــ والهدف الثاني : تفسير النص الادبي ــ وهنا يحتاج الناقد الى الثقافة والخبرة ــ ، اما الهدف الثالث فهو التوجيه ، ــ وهنا يحتاج الناقد الى الايمان بهدف اجتماعي وسياسي معين ــ .

★ ★ ★

وقد تأثر مندور بعدة نقاد اوروبيين كبار ، منهم برجسون الذي افاد من نظريته في الحدس والتخمين ، ومنهم أيضا الناقد الايطالي كروتشه ، الذي كان يؤكد انه ليس ثمة فرق بين الشكل والمضمون في النص الادبي ، وان للكلمات روحا ، وروح الكلمات هو المضمون. وكان مندور في غمار تأثره بكروتشه ، يؤكد ، هو الاخر بدوره ، ان كل شكل أو لون أدبي يعبر عنه بلغة خاصة به ، وان قوة المضمون في النص الادبي تنبع عن الشحنات الفنية والخيالات والعواطف والمشاعر التي تبنتها الكلمات والعبارة الفنية . وهكذا ، فان مندور انتهى ، انذاك ، الى فكرة كروتشه التي لا تفرق بين الشكل والمضمون .

اما في البداية .. فقد تأثر مندور بالمدرسة الرمزية الفرنسية وبالشاعر الامريكي ادجار الن بو بخاصة ، مثلما تأثر باستاذه في السوربون ، لانسون .

وجدير بالذكر ان تواجد مندور في فرنسا ، في مرحلته الاولى ، كان ايام أزدهار الحركة الرمزية في فرنسا بخاصة ، وفي اوروبا عامة . وكان مندور يعتقد ان الرنة أو الرنين الموسيقي للكلمة في الشعر هو الذي يحدد الفارق بين لغة الشعر ولغة النثر . ان الكلمة ، أو لنقل العبارة ، في القصيدة ، تمتاز بكونها مشحونة بعديد من المعاني ، الناجمة عن العلاقة الموسيقية للكلمة بالكلمات الاخرى في القصيدة ، وعن الصور والخيالات التي تثيرها في ذهن القارىء ونفسه.

★★★

ومع ان مندور هاجم استخدام التحليل النفسي في الدراسات النقدية والادبية ، وخاض ، بسبب ذلك وفي تضاعيفه ، معركة ادبية حادة مع العقاد ومؤيديه ، الا ان اصداء المعركة تركت اثارها في نفس مندور وفي طريقته النقدية . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان انحيازه الواعي الى الآمدى ــ صاحب : الموازنة بين الطائيتين ــ والقاضي الجرجاني صاحب ــ الوساطة بين المتنبي وخصومه ــ ، واسحق الموصلي الذي كان يقول ان ثمة اشياء تدرك وهي مع ذلك لا توصف ، ان كل هذا جعل مندور يرى ان الظلال النفسية للعبارة والرنين الموسيقي للكلمة والعلاقات الجمالية بين الكلمات والعبارات والحدس والتخمين ، ينبغي ان يؤخذ بنظر الاعتبار في ابداء الاحكام النقدية ، خصوصا في النصوص الشعرية .

ان الناقد لدى مندور جهاز واع متطور ، لايعمل ميكانيكيا ، وانما على نحو جدلي ، قائم على التفاعل بين عاداته وميوله المصقولة ، ونزعاته النفسية ، وذائقته الادبية ، المتأتية اصلا عن الفطرة الطبيعية ، المهذبة والمتطورة بالتعليم والثقافة والخبرات التي عاشها الناقد .

ولعله من هنا .. انتهى الى القول بنظرية الشعر المهموس التي كانت اساسا لا شك فيه لنظريات الشعر الحديث المتعددة .

فقد افاد مندور من كل النظريات العربية ـ الامدى ، اسحق الموصلي ، الجرجاني ، ابن الاثير ، ابن طباطبا العلوي ـ والنظريات الاوروبية النقدية ـ لانسون ، كروتشه ، بيرجسون ، المدرسة الرمزية الفرنسية ـ في اشادة لبنات نظريته المتكاملة في الشعر المهموس .

نظر مندور طويلا في قصيدة ميخائيل نعيمة ـ أخي ـ ، وتعمق في دراسة شعر نسيب عريضة ، وشعر خليل مطران ، والرومانتيكيين الاول في مصر وسوريا ولبنان ، وخرج بنظرية تقول ان العرب المحدثين بأمس الحاجة الى الشعر المهموس الذي يترجم واقعهم ترجمة فنية ذكية معاصرة .

وكان يرى ان الشعر المهموس يقوم على تصوير مظاهر الطبيعة ، وخلجات النفس ، وظواهر الواقع ، بصدق واخلاص . كما ان الشاعر مدعو ، هنا ، لان يفيد من الطبيعة والاساطير والفولكلور ، والاحداث التاريخية ، افادة جدلية واعية .

وما من شك ان الدعوى الى الشعر المهموس هي من بين اهم العوامل التي ساعدت على بزوغ وتبلور حركة الشعر الحديث الذي ولد في رحم الرومانتيكية العربية الحديثة وتطور منطلقا الى رحاب الواقعية الانتقادية والاشتراكية .

وكان بدر شاكر السياب ، الشاعر الراحل العظيم ، يقول انه بدأ يفكر في الشعر الحديث عندما قرأ الشاعر الانجليزي ايليوت ، وعندما اطلع على دعوة مندور الى الشعر المهموس. كما ان محمد مندور صرح ، وهو يرى تطور الشعر المهموس الى الشعر الحديث قائلا : ان هذا هو الشعر الذي كنت ادعو اليه .

لقد هلل مندور للشعر المهموس في ادب المهجر وادب بعض الشعراء الرومانتيكيين العرب المعاصرين، واجدا فيه السهولة واليسر والبساطة والجمال والعذوبة ، وسهولة الوصول الى اذهان الجماهير ومفضلا اياه ، بسبب كل هذه الخصائص وسواها ، على الشعر الخطابي التقليدي ، اي الشعر الكلاسيكي القديم والجديد ، الذي يزدحم بالمعاني الفضفاضة ، والتراكيب اللغوية العسيرة الفهم ، ويتقيد بالقافية تقيدا اعمى ، مضحيا احيانا باصالة الصورة الفنية ، والصدق ، وصحة وعمق التجربة الشعرية ، والشعورية .

★★★

وعلى اية حال ، فان مندور لم يكن متحمسا لكل شعر مهموس او شعر حديث ، فقد كان يتابع ، بعين يقظة التحولات الفكرية للشاعر والمحتوى الايديولوجي للقصيدة ، وهو مع تأكيده على الحساسية الفنية والفطنة في التمييز الشعري ، والظلال الموسيقية الرهيفة ، الا انه ظل يؤكد على وجوب تميز القصيدة بالعمق ، وبالتصادي الحي والجدلي اساسا مع احداث المجتمع وظواهره الحياتية المتطورة ومتغيراته السريعة.

ومن هنا، فقد اصطدم ، اخيرا، بالرومانتيكيين، وبالمهجرين الذين كان قد منحهم تأييده في دعوته الى الشعر المهموس ، وجعل يؤكد ـ ابان مرحلته الاخيرة في النقد الايديولوجي والادب الملتزم ـ على وجوب الالتزام والانتماء ، والهدفية ، دون التفريط بالجيبسايية الفنية ، والجدة ، والاصالة في الصورة الشعرية، وفي كل عوامل القصيدة الحديثة ومقوماتها.

ومضة من حنين

شعر: عبدالرحيم الحصني

على أي ورد تسكب الدمع والدما
واي المجالي من لياليك احجما
طويت من الاعوام خمسين حجة
وما زلت يانشوان ريان منعما
اتشكو • وقد لونت كل رزية
بشعرك حتى اصبح الحزن مغنما
سقاك الهوى من كأسه الحب صافيا
فلا ضن الهاما • ولا نمت ملهما
واي هزار من قصيدك ما شدا
واي شهاب بين كفيك ما ارتمى

* * *

ادرها على الاسماع وحيا مؤنقا
فقد جنت الآهات والوجد برعما
جلتها يد الرحمن • لو مس طيبها
بعيدا بأقصى الارض ما شفه الظما
وما الشعر الا من هدى الله نفحة
يزود منها من احب واكرما
رويد الإسى ما انصف الدهر شاعرا
ورب فصيح ضيع العمر ابكما
واحزن عيش في الملا عيش شاعر
يرى الخير كل الخير ان يوصد الفما

* * *

تسائل حصبائي • وروحي راحها
الوم غفاة • ام اعاتب نوما
كأن حنيني ما اضاء بليلها
ولا راح شعري يزرع الدرب انجما
سماحا مهاد المجد حبك والعلى
اليفان لم ينجح بي الشعر عنهما
اغار من الشمس الضحوك توسدت
اديمك ولهى والندى العذب خيما
اغار من الانسام يقطف نشرها
اريجا من الازهار مغناك يمما
اغار من الاطيار يمسح ريشها
شفاه الاقاحي شرد اللحن يتما
اغار لو اني فوق خدك شامة
اسامر جفنا • او اداعب مبسما
ندى من التاريخ ما زال نوره
عناوين اقدام اذا الليل اظلما
اقامت عليه عبقرية يعرب
لكل ضياء في البطولة معلما
يرف نشيدا من محمد ، خالدا
به الكون غنى ، والزمان ترنما
اذا لم انله الحق لا عشت شاعرا
ولا بحت للدنيا بما الله انعما
ومن اتبع الاحسان بالمن والاذى
تسنم قصرا في العلى ثم هدما

* * *

بلادي نثرت العطر حولك مترفا
وغنيتك الالهام سحرا منمنما
لئن هانت الدنيا فما هان خاطري
وفائي من السلوان لم يلق احرما
بأفياء احبابي بسطت يد الصبا
واوسعت جرحي من رضى الاهل بلسما
ومن نعميات الوصل زينت بالندى
على غضبة الحساد ، جيدا ومعصما
ببالي من الاحباب الف حكاية
اضم رؤاها ، جاني الجفن مغرما
فحسبي من الاوتار، ان اغمز (النوى)
ومن بسمة الازهار ، ان ارشف اللمى



تمهيـد :

ان الحديث عن أهمية ضبط العواطف والانفعالات وضرورة التحكم فيها أمر مألوف في الحياة اليومية لكل فرد فينا تقريبا . اننا كثيرا ما نسمع افرادا يشكون من ان الانفعالات والعواطف سرعان ما تسيطر عليهم فتعمل على ارباكهم وتشعيب تفكيرهم وتعكير نفسياتهم واعاقتهم عن القيام بالاعمال الموكولة لهم وانجازها بالشكل الصحيح . ان الكثير منا اذا ما سيطرت العاطفة على سلوكه وتصرفاته أدى به ذلك الى الاخلال بعلاقاته مع الاخرين والى سوء تكيفه مع الظروف المحيطة به ، وتركته بالتالي في صراعات واحباطات متتالية . لذلك فلا غرابة ان نرى بأن كل فرد فينا يحرص كل الحرص على كبت عواطفه والتخلص من سيطرتها حتى تتهيأ الفرصة المناسبة امام عقله لتحكم في التصرفات الصادرة عنه .

والعواطف قد تكون أسبابها داخلية نابعة من ذات الفرد ، قد تكون خارجية بعيدة عن ذاته بالمرة . والنوع الاول منها صعب التحكم فيه نظرا لطبيعة نشوئه وتركيبه ، اما النوع الثاني فان أمر التحكم فيه مرهون بطبيعة القيم السائدة في المجتمع المحيط بالفرد المعني . وهذا يعني أن عملية احتوائنا لعواطفنا والسيطرة على عواطف الاخرين — وقد واجه الانسان منذ قديم الزمان هذين الموقفين على الدوام وذلك من خلال نظرته الى المواقف التي تتملكه وتسيطر عليه وكذلك المواقف التي تخدم أغراضه ومصالحه — ان الانسان منذ القديم كان يعرف أيضا أن لعملية التحكم في العواطف حدودا لا يحسن تجاوزها ، وان الجفاف العاطفي عند الافراد يمكن ان يكون نتيجة طبيعية للضغوط التي تفرض عليهم لمسايرة الاخرين والتمشي معهم ، و لكونهم لم يتمكنوا ، بشكل أو بأخر ، من الاستفادة من الخبرات التي يمرون بها .

انه لعدة قرون خلت كان ينظر الى العواطف على انها نوع من الغضب الشديد وأنها بمثابة محنة أو مصيبة تحل بالفرد ، رغم كونها في الوقت نفسه الاساس الذي يقوم عليه الكثير من سرورنا واعمالنا الابداعية . ان الامور الوجدانية كان ينظر اليها على انها مخلفات عاطفية ، وان السرور والالم هما المحوران اللذان تدور حولهما عواطفنا . ان القدماء قد افترضوا وجود رابطة قوية بين الغريزة والعاطفة . فبالنسبة لهم . فان العواطف تقود الى التصرف المتسرع بدلا من التصرف القائم على المعرفة والبصيرة. ان الفلاسفة قد درجوا على اعتبار العواطف على انها تمثل الطبيعة الدنيا عند الانسان .

ان بحث الدور الذي تلعبه العواطف يتضمن في العادة اتجاهين ، يتصل الاول منها بالصراعات بين العواطف المتباينة ، والثاني بالصراع بين العواطف والعقل . فلقد اوضح ارسطو بجلاء أنه عندما تسيطر العواطف على التفكير والسلوك . فان الانسان لا يستجيب لنداء العقل . لقد كان القدامى على وعي تام بشراسة العواطف الحادة ، كانوا يطلقون عليها اسم الجنون ، وقد دفعهم ذلك الى الحديث عن الاتجاهات العاطفية الموزونة التي يمكن جعلها تتمشى مع العقل .

وعلى الصعيدين السياسي والاجتماعي . فان السبب الرئيسي وراء التقاء الافراد معا لتكوين حكومات ودول هو حاجتهم الى الامن والاطمئنان . ومع ذلك فقد كانوا يتساءلون فيما اذا كانت المنظمات الاجتماعية التي ينجحون في اقامتها يمكن ان تظل قائمة على أساس من المحبة والصداقة ، أم انها تتحول بدلا من ذلك الى نوع من المخاوف وعدم الثقة ، وبالتالي تعود عليهم بالمصائب والويلات ؟ هل تصلح العواطف كأساس للتعامل بين الناس ؟ هل من الممكن ان يشترك الافراد في رابطة من نوع معين ويظلوا يعيشون في أمان؟ ان هذه الاسئلة لا تزال قائمة وتسأل بالطريقة نفسها حتى يومنا هذا .

ان عملية ضبط العواطف والتحكم فيها تشمل عواطفنا وعواطف الاخرين الذين تربطهم بنا صلات من نوع أو أخر . فنحن نمارس عملية التحكم في عواطف الاخرين باستمرار من خلال قيامنا بعملية تنشئة اطفالنا ، وكذلك اثناء تعاملنا مع الاخرين الذين يقعون تحت سيطرتنا بشكل او بأخر . فما هي مقومات هذه العملية ؟ وما هي الاسس التي تقوم عليها ؟

ان عملية التحكم في العواطف يمكن ان تكون على عدة صور واشكال فهي اما ان تنحصر في تمويه المظاهر الخارجية للعواطف او في التحكم بظروف المواقف المثيرة لها ، أو أنها تكون بمثابة محاولة لكبت العواطف ذاتها . وفيما يلي شرح لهذه الصور المختلفة .

١ ــ التحكم في المظاهر الخارجية للعواطف :

ان الواحد منا قد يعمد الى اخفاء عواطفه وانفعالاته وذلك بعدم السماح للمظاهر الخارجية لها بأن تطفو على السطح . ان البسمة أحيانا قد تخفي تحتها الكثير من مشاعر القلق وعدم الارتياح . اننا نعرف ان علينا في حالات معينة ليس اخفاء غضبنا او خوفنا وانما حتى اخفاء شعورنا بالفرح لخير اصابنا . اننا نتعلم من خبراتنا في امور الحياة من حولنا بأن علينا العمل على كبح دوافعنا الجنسية أو أن نميل بها الى التسامي ، كما أن علينا أحيانا أن نتعود تحويل عدائنا وغضبنا الى غير مصدرها الحقيقي . حتى نسلم من احتمال الرد علينا بالمثل . ان الفرد الذي يتعود الثبات في وجه مثير مخيف يكون قد خطا الخطوة الاولى نحو الاتزان العاطفي . ومما يجعل مثل هذا الامر صحيحا كون الجوانب المختلفة للموقف العاطفي تميل الى تقوية بعضها البعض . ان تحكم الفرد بالكلام الصادر عنه في موقف عدائي لايعني تغطية شعور العداء عنده فقط . وانما المساعدة في منع الاستجابات الغريزية المتوقعة أيضا .

اننا نتعلم في بعض الاحيان التحكم في عواطفنا عن طريق تكيفنا للمثيرات التي ولدتها . وبما أن العاطفة هي بمثابة رد فعل معين ،فان اي اجراء يساعد الفرد في التكيف مع الظروف المحيطة به سوف يقلل من ردود أفعاله العاطفية وقد أصبح من المعروف انه في الوقت الذي تعمل فيه العواطف على اعاقة التفكير السليم فان التفكير السليم نفسه يعيق اثارة العواطف ايضا .

٢ ـ التحكم في المواقف المثيرة للعواطف :

لما كانت معظم الخبرات العاطفية تعتمد على مواقف أو ظروف مباشرة وقريبة العهد فانه قد يكون من المناسب العمل على فهم الموقف المسبب لها واجراء ما من شأنه تعديل ذلك الموقف أو تغيير ظروفه اننا في الواقع تقوم بمثل هذه العملية باستمرار في الحياة العادية . فالبعض منا غالبا ما يحاول سرد قصة مضحكة ليغطي بها ارباكه وتوجيه الانظار بعيدا عن حاله العاطفية . اننا نلجأ أحيانا الى ذكر نكتة قبل البدء باعطاء خطاب عام او محاضرة لتخفف بذلك من حدة العواطف التي تسيطر علينا أو على افراد الجمهور المستمع لنا . اننا قد نعمد الى المراوغة عندما نكون في موقف يدعو للغضب . اننا احيانا نحاول أن نزن الامور من وجهة نظر نسبية ونقارن انفسنا بمن هم اقل خطأ منا للتخفيف من وطأة العواطف التي نشعر بها . اننا نتعلم مع مرور الزمن ان بعض العواطف تنشأ من اثارة الافراد ذوي الاتجاهات القوية أو المتزنة لنا ، ولذلك فعلينا الابتعاد عنهم او التقليل من التعرض لاثاراتهم ما أمكن ، حتى لا يقودنا ذلك الى الرد عليهم بالمثل .

ان الرجل الواعي أو المثقف هو الذي يحسن التمييز بين المواقف التي يستطيع فيها أن يعبر عن عواطفه بحرية وتلك التي لا يستطيع فيها ذلك . انه ذلك الشخص الذي يحسن التفريق بين اعطاء جواب ذكي وجواب عاطفي لسؤال ما ، وهو الذي يعلم أن ضبط الفرد لعواطفه يحد من النتائج المزعجة لها . ان العواطف سواء أكانت تسهل الوصول الى هدف ما أو تعيقه انما يعتمد كل ذلك على الموقف الخاص بها . والرجل الواعي هو الذي يدرس المواقف قبل أن ينفذ لها ، فهذا بدوره يساعده في تقرير ما اذا كان ضبط العواطف ضروريا أم لا . وما هي الدرجة التي يجب أن يصل اليها في ذلك . ان الكثير منا ، بلا شك ، قد وجد من خبرته بأن التمويه عن ثوراته العاطفية كان مفيدا في مواقف معينة ، وغير مفيد في مواقف اخرى ان الرجل الواعي يسير في عملية تحكمه بعواطفه على ضوء النتائج القريبة المدى وكذلك النتائج البعيدة المدى لطريقة استجابته للموقف المثير ، سواء بسواء.

ان هناك طريقة هامة يجب تذكرها وهي ان عملية ضبط العواطف والتحكم بها ليست سهلة وميسورة. ان التحكم في العواطف يتطلب فهما صحيحا لشخصية الفرد وعاداته وطموحاته ، وقدرته على ربط كل ذلك بمختلف المواقف التي يصادفها . ان الضبط العاطفي يصبح ميسورا اذا أدرك الفرد بشكل جيد الاشياء التي يقدر على اظهارها والأشياء التي تحتاج منه الى اخفاء او تمويه .

٣ ـ كبت العواطف في مقابل اطلاق العنان لها :

ان بعض الافراد يتسرعون في اظهار عواطفهم ، بينما يميل البعض الاخر الى كبت عواطفه وما يتصل بها من انفعالات . ان بعض علماء النفس يقولون بان محاولة الفرد كبت عواطفه قد تكون له نتائج محمودة ولكن لما كان السلوك العاطفي ، حسب رأي انصار مبدأ التدريب على الحساسية ، يمكن تحليله كأي موضوع مادي اخر . فانه يمكن معالجته والسيطرة

عليه بشكل مقبول .. ومبدأ التدريب على الحساسية هذا يهدف الى ان يصبح الافراد اكثر وعيا بالكيفية التي يفسر بها سلوكهم من قبل الاخرين ، وبوجه خاص سلوكهم العاطفي . وفي التدريب من هذا النوع تجتمع في العادة مجموعات من ـ ١٥ ـ ٢٠ ـ فردا من مختلف المستويات والمهن يكون هدفها الكلام بحرية مطلقة عن خبراتهم ومشاعرهم . ان الجلسة الواحدة قد تمتد من يومين الى اربعة اسابيع متصلة بحيثيتم الاجتماع في حدود ـ ٦ ـ ٨ ـ ساعات يوميا . وتجري الجلسات عادة حسب خطة مرسومة رغم انها تبدو وكأنها تسير بشكل غير منظم . ان المشرف علىالبرنامج يكون همه ايجاد الجو المناسب امام كل فرد للتعبير عن عواطفه ومشاعره بشكل حر طليق عن طريق الاحتكاك بالاخرين وتجاذب اطراف الحديث معهم . وهنا يستطيع الفرد ان يتعرف في الحال الى ردود افعال الاخرين فيما يختص بمشاعرم وعواطفه المعلن عنا وبذلك يصل في النهاية الى مرحلة تفريغ مثل هذه العواطف ، ولكن بشكل مناسب ومقبول . وهذا بالطبع يتطلب أن يكون لدى الفرد الاستعداد النفسي لعرض عواطفه ومشاعره على الاخرين وتقبل النقد لها . واذا كان الشخص غير قادر على ذلك . فانه في العادة يجد في احلام اليقظة أو الاحلام العادية مجاله البديل لتحقيق نفس الهدف السابق .

ان الفرد فينا سريعا ما يدرك . ولو بطريقة صعبة : احيانا . ان المجتمع من حوله يضع قيودا على تعبيراته العاطفية . انه قد يجد من الافضل في حالات معينة أن ينفس عن عواطفه عن طريق انزال العقاب البدني بالاخرين ، ولكنه سرعان ما يدرك أن هذا الامر غير جائز او مستحسن وانه قد يكون من الافضل له تفريغ عواطفه هذه عن طريق انشغاله بعمل شاق أو انصرافه الى ممارسة نشاط معين يكون من شأنه استنزاف طاقته ومساعدته في التخلص من سيطرة عواطفه عليه ، ولكن بشكل مقبول اجتماعيا . ان البعض يستطيعون تفريغ عواطفهم والتخلص من مشاعرهم الحادة عن طريقممارسة الهواياتالرياضية او القيام بالاعمال المكتبية او المنزلية الروتينية المعتادة او حتى عن طريق اللجوء الى القراءة والكتابة . اننا باللجوء الى هذه الاساليب غير المؤذية والمقبولة اجتماعيا في تفريغ عواطفنا نكتسب مناعة ضد عمليات الاحباط والصراع .

ومن الممكن النظر الى عملية كبت العواطف على ان لها جوانب ايجابية واخرى سلبية . ان محاولة كبت الغضب أثناء الاشتراك في مناقشة علمية يبدو نافعا وملائما في بعض المناسبات ، انه يؤدي الى نتائج ضارة بالصحة النفسية . أن مثل هذا الكبت المتواصل للعواطف ان حصل فانه قد يعمل على نقلها من حيز الشعور الى حيز اللاشعور ، وبالتالي تجد متنفسها بطرق شاذة ملتوية . ان العواطف التي تكبت لا تضيع بالمرة وانما تعود الى الظهور عندما تجد المناخ المناسب لذلك . هذا بالاضافة الى ان الكبت المستمر للعواطف يجرد الحياة من حلاوتها . وهذا هو الذي يحدث في حالة الاشخاص الذين يكون اندماجهم في أمور الحياة من حولهم هو من النوع الهامشي .

ان ايجاد توازن صحي بين عمليتي كبت العواطف واطلاق العنان لها قد ينطوي على شيء من المخاطرة . ان شخصا ما قد يفضل ان يبقى عازبا تخوفا من ان يصادفه فشل في حياته الزوجية . اننا قد نفضل الابتعاد عن المواقف التي يحتمل ان تسبب لنا بعض المشاكل والعقبات ، ولكن ذلك قو يوصلنا الى وضع

نشعر معه بأننا لسنا سعداء او بؤساء . ان عملية ضبط العواطف تتطلب تدريبات هادفة منذ المراحل الاول من العمر . ولا ينتظر ان تأتي عن طريق النصح والارشاد فقط ، كما يتخيل البعض .

كيف نتعلم ضبط عواطفنا :

ان من الدروس الهامة التي يتعلمها الكبار وهم يدربون اطفالهم على ضبط عواطفهم هو عدم محاولتهم اجتثاث هذه العواطف من جذورها . اننا ندرب الطفل على أن لا يترك العواطف تسيطر عليه فتقوده الى تصرفات غير محمودة . ان ترك الطفل يبكي منفردا بسبب بعض الاحباطات التي حصلت له قد يساعده ذلك في منع ثورات الغضب عنده في المستقبل ولكن مقابل ثمن معين . انه قد يتولد لديه شعور بانه مهجور ، أو انه لا يوجد هناك من يشاركه في آلامه او من يشعر بشعوره . ان الام عندما تأخذ الطفل الثائر أو الباكي في احضانها حتى يهدأ فان أمرين اثنين قد يحصلان : اولاهما : ان الطفل قد يتعلم الشعور بالاطمئنان ، وثانيهما : ان الامور يمكن ان تفسر له فيما بعد بطريقة مقنعة حينما يهدأ وتجف دموعه . ان مثل هذه الخبرات تسهم في تعليم الطفل بان العواطف تحتاج الى زمن معين للتخلص منها . ان الابوين سرعان ما يتعلمان بان الخوف والطفولة يسيران جنبا الى جنب . ان الطفل يتعلم تدريجيا بان القوانين والانظمة التي تطبق بنوع من اللطف والحزم والثبات تساعده في مواجهة الاحباطات والصراعات بشكل مقبول . ومن الضروري علي أية حال ان نعلم انالثورة العاطفية الاولى في تاريخ حياة كل فرد فينا لا تكون واقعة تحت سيطرتنا . وان الواحد منا لا يستطيع السيطرة على عواطفه بمجرد ان يقرر ببساطة بانه سيقوم بالعمط الصحيح دائما . او بانه سيبتعد تماما عن كل مثير للعواطف والانفعالات . ان للامر وجوها واعتبارات اخرى كثيرة بالاضافة الى ذلك .

ان التحكم في العواطف يشمل بالاضافة الى ما سبق قدرة الفرد على تقبل الواقع والتعايش معه ان الارملة التي فقدت زوجها عليها ان تفهم بانه لا يمكنها أن تعمل شيئا لرد ما حدث ، وانها تحتاج الى وقت ليس بالقصير لاحداث التغييرات المطلوبة في حياتها . وبالطبع فان الاحزان يجب ان تأخذ مجراها وتجد لها متنفسا عاديا وطبيعيا قبل ان يتم احداث التغييرات المطلوبة . ان الفرد فينا قد يجد من المناسب أحيانا ان يتحدث عن مشاعره وعواطفه مع اصدقائه او مع الاشخاص الذين يثق بهم ، والذين سبق لهم ان مروا بنفس الخبرات المماثلة . ان الحديث عن العواطف مع الاخرين يعمل على اخراجها الى السطح ، ويخفف بالتالي من وطأتها . ان التحكم في العواطف قد يصبح ميسورا احيانا اذا قلت امامنا بدائل العمل أو السلوك المحتمل . اننا احيانا اما ان نلجأالى مبدأ النفس الطويل في معالجة الامور او ان نستعد لمواجهة صدمة الخسران السريع للذات . ان الفرد في بعض الاحيان اما ان يرتد متقهقرا الى الوراء او ان يعد نفسه لمواجهة احتمالات المستقبل ومخاطره . وفي نطاق البيئات التي تعطى أهمية كبيرة لنجاح الفرد فيما يقوم به من اعمال ، فمن الواجب ان يتعود الافراد فيها على تقبل احتمالات الفشل ، اننا نتعود النظر الى

وسائل الضبط العاطفي من زاوية عاداتنا اليومية المعتادة ، وليس فقط من زاوية السيطرة القاسية على الانحرافات السلوكية اننا مع مرور الزمن ، ندرك بأن الفكر الثاقب الذي يعمل على تقليب الامور وتفحصها في لحظات الهدوء يساعدنا في الاعداد والتهيئة لمواجهة الصعوبات التي تعترض سبيلنا مستقبلا .

تطور الضبط العاطفي مع العمر :

ان هناك مراحل في الحياة يكون التعبير عن العواطف في حالتها غير ممنوع نسبيا ، ومراحل اخرى تتميز بعدم ثبات العادات العاطفية . ان هناك مراحل تتوقع فيها حتى من الفرد السوي ان يشعر بالكآبة اكثر من الحد المعتاد ، واخيرا فان هناك مراحط يكون التحكم العاطفي في حالتها خاضعا للعادات والتنشئة التي تعودها الفرد أثناء مراحل نموه المختلفة . وفيما يلي شرح لتطور عملية التحكم في العواطف في مختلف مراحل النمو .

١ ـ مرحلة الطفولة :

عندما يصل الطفل الى سن الثانية من لعمر يصبح لديه مجموعة كبيرة من ردود الفعل العاطفية التي يجب السيطرة عليها وابقاؤها ضمن الحدود السوية ، ومنها الخوف والغضب والحقد والكآبة والاهتياج والسرور والمرح والتعالي والحب . ان عملية التحكم بالنسبة لعواطف الطفل تأتي من الخارج، اي من الاخرين ، ان الوالدين الحكيمين يعرفان بان تجنب الطفل بعض المثيرات سوف يقلل من سيطرة العواطف عليه ، وان احاطته بالاطمئنان تخفف من شعوره بالقلق . انهم يعرفون انه عندما يكبر الطفل فان ثورات الغضب عنده تصبح اقل ، مع انها تطول وتصبح موجهة اكثر فأكثر نحو الشخص او الموضوع الذي اثارها ، وان توفير الجو النفسي المناسب يمكن ان يجعل مستوى الغضب عنده في أقل درجة ممكنة ان الاباء يعرفون ان الغيرة توجد عند كل الاطفال وخصوصا عندما يأتي للعائلة مولود جديد ، وانه يمكن التغلب عليها عن طريق اظهار مشاعر الحب والحنان وليس عن طريق العقاب . ان الاباء يعرفون ايضا انه من الممكن تخفيف حدة العواطف عن طريق اشغال الطفل بالاعمال التي يحبها .

٢ ـ مرحلة المراهقة :

من المتوقع أن تكون للمراهق بعض المشاكل لانه يكون في العادة غير ثابت في تصرفاته ولا يسهل التنبؤ بما سيقوم به من أعمال . ان الفرد في هذا العمر يبدأ في التكيف للشدائد ، ويصبح انتقائيا بالنسبة للامور التي يقلق منها ويأخذ في اكتشاف الاساليب المناسبة لتفريغ عواطفه . المراهق ، من زاوية العواطف ، يكون مشكلة لنفسه اكثر من كونه مشكلة للاخرين ، ولذلك فهو في حاجة للسيطرة على عواطفه من الداخل انه في العادة يتعرض لادوار جديدة باستمرار وبشكل اسرع من الامكانيات المتوفرة لديه للتكيف للادوار القديمة ان المراهق سرعان ما يقع تحت سيطرة العواطف الآتية وتراه يتنقل من حالة عاطفية لاخرى مناقضة لها تماما ان هذه العواطف تتراكم في داخله وتظل هناك حبيسة حتى تحين الفرصة للتنفيس عنها ، وغالبا ما تكون تلك الفرصة غير مناسبة من حيث مكانها وزمانها . ان الكثير من الدراسات تؤيد القول بان عملية الارشاد السليمة تساعد المراهق في النظر الى مشاكله بطريقة

موضوعية ، ولكن الزمن وحده هو الذي يساعده في حسن التحكم بعواطفه سواء كان ذلك من الداخل أم من الخارج .

٣ مرحلة الشباب :

ان المشاكل العاطفة ة للشباب تتصل بنظراتهم التقويمية لقدراتهم ، وباختياراتهم المهنية ، وبالامور التي لها صلة بتقوية مفهوم الذات عندهم . ان ذلك يتطلب من الشاب مواجهة صحيحة لواقعه وحقيقة امره مع استخدام صحيح لفكره وحكمته النابعين من داخله . ان عليه ان يوائم بين قدراته وطموحاته ، لان عدم القدرة على المواءمة الصحيحة في ذلك المجال يقود الى صراعات واحباطات متتالية .

٤ ــ مرحلة العمر الوسطي :

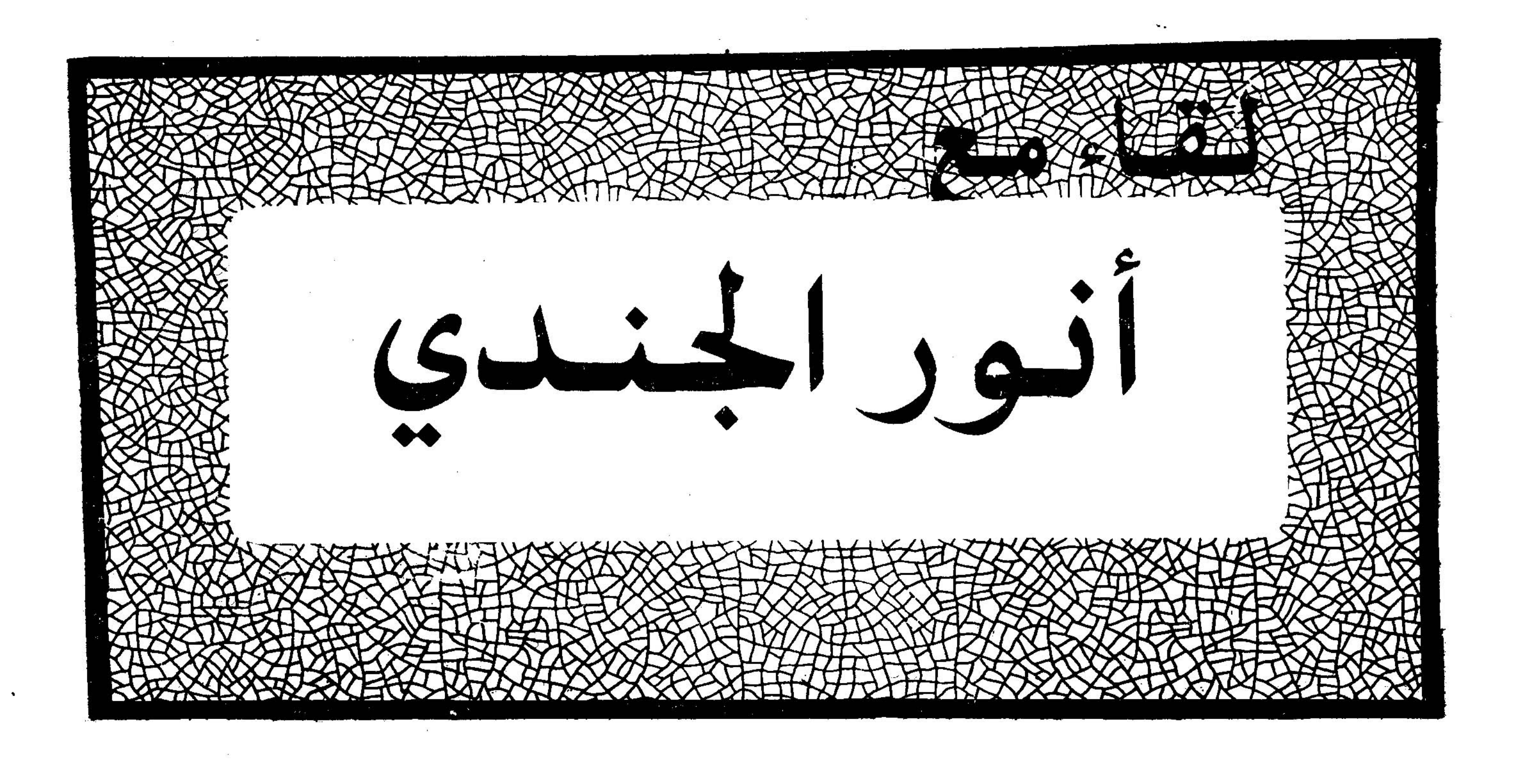
تتميز هذه المرحلة بالقلق والكآبة ، وهناك أسس فسيولوجية لغالبية المشاكل العاطفية التي يبدأ ظهورها في أواخر الثلاثينات . فمثلا هناك توقف في الهرمون الذي تفرزه الغدة الادرنالية ، مع وجود بعض التغيرات البيولوجية الاخرى . ومع ذلك فان معظم مشاكل هذه المرحلة هي من النوع النفسي . ومن وجهة نظر احصائية ، فان مشاكل هذه المرحلة تعتبر عادية لانها تصيب كل فرد فينا يصل الى هذا المستوى من العمر . ان عملية ضبط العواطف في هذه المرحلة يأتي عن طريق الفهم الصحيح لطبيعتها وما ينتظر أن يحل بالانسان فيها . وعليه أن يكون واقعيا بالنسبة لكل ذلك .

٥ ــ مرحلة الشيخوخة :

ان الشيخوخة ، في أحسن الحالات ، تجلب معها مجموعة كبيرة من المشاكل العاطفية ، وذلك مثل الشعور بالوحدة وعدم الاطمئنان وبان الفرد اصبح غير مرغوب فيه . ولقد اظهرت الدراسات ان ضبط العواطف في هذه المرحلة يعتمد على الصفات الشخصية للافراد وعلى الخبرات التي اكتسبوها طوال سنوات حياتهم الماضية . لذلك فليس من السهل عمل الكثير لمساعدة الافراد في هذه السن على حسن التكيف لعواطفهم أو التقليل من ثوراتها سوى احاطتهم بما يكفل لهم الشعور بالامن والاطمئنان وبأنهم لا زالوا مطلوبين وان دورهم في الحياة لم ينته بعد .

خلاصة :

راينا فيما سبق كيف ان الثورات العاطفية توجد عند كل فرد فينا ، وان عملية ضبطها والتحكم فيها تختلف من فرد لاخر ، وانها تتطور مع تطور الفرد وذلك اذا ما اتيح له ارشاد وتوجيه صحيحان منذ نعومة اظفاره . ان عملية التدريب على ضبط العواطف هذه يجب ان تأخذ بالاعتبار الصفات الشخصية للافراد ووسائل الرعاية والتنشئة التي يلقونها ، وكذلك نوعية المواقف والخبرات التي يمرون فيها . ان مساعدة الفرد في التحكم بعواطفه لا تأتي عن طريق الارهاب او استخدام الشدة وانما عن طريق وضع الفرد في البيئة النفسية الملائمة التي من شأنها أن تشعره بالاطمئنان وتحيطه بالمحبة والعناية . هذا مع العلم ان التحكم في العواطف لا يعني كبتها تماما وانما التخفيف منها او تحييد عن مجراها الاصلي الذي ينتظر ان يقودنا الى المشاكل والصعوبات . وقد يكون من المفيد ، في بعض الحالات ، ان نحاول تفريغ العواطف او التخفيف من حدتها عن طريق استخدام العقل وتقليب الامور بشكل هادىء وموضوعي ، بدلا من ان نترك العاطفة تسيطر على العقل وتطمس صوته ولا يخفى أن مثل هذا الامر يحتاج منا الى تدريب خاص في سنوات العمر المختلفة ، وانه قد يكون صعب المنال في حالات كثيرة . فاذا أحسن الفرد فينا ضبط عواطفه او التحكم فيها ، فان ذلك سيجنبه الكثير من المتاعب والشدائد النفسية والاجتماعية التي هو في غنى عنها ، ويجعل سلوكه مقبولا له وللاخرين .



عبد الكريم دندي

في استفتاء ادبي اجرته خلال ربيع عام ١٩٤٥ مجلة ـ أصداء ـ السورية تبين منه أن أغزر الشعراء العرب انتاجا هو الشاعر انور الجندي وكـان في الاربعينات بلبل الشعر فوق الدوريات الادبية . وقد أفنى اعذب السنوات من عمره في هيكله القدسي ، ما عرف لونا آخر من ألوان الادب العربي ، ولا قـارب سواه من الفنون ، أخلص للقصيدة العربية أيما اخلاص ولكن صوته الشعري قد شابه الحزن والاسى،وعشق لوعة الحزن وايقاعه في صوره الشعرية ، فكان ذلـك يسم شعره وما يزال حتى الان ، سعيت اليه في دارته الفسيحة والمتواضعة ، فكان هذا اللقاء ، خصوصـا وانه قد خرج من حصاره الادبي واخذ يطل من فوق منبر الثقافة الشهرية او الاسبوعية على القـارىء بالصوت الحزين والصورة الشعرية نفسها التي عرف بها الوسط الادبي :

يازورقا تاه ولم يرجـــع
قل لي ابعد الموت من مُطمع
ماذا وراء الغيب ، هل عالم
كعالمــي المغمور بالادمـع
نتيه في الدنيا ولا غايـــة
ونحن من اوهامنا لا نعـــي

سألته بلا مقدمات : تجربتك الشعريـــة كيف بدأت .. !

× ــ بدأت تجربتي الشعرية في سن مبكرة ، لا تتجاوز الرابعة عشرة من عمري ، وما أزال الى الان اعيش هذه التجربة بكل ما في الكلمة من معنى واعتقد أن التجربة الشعرية لا تقاس زمنيا ، وانما تكون بالنسبة الى العمل الادبي الذي ملأها كلها واغنى مضمونها في حياة صاحبها .

ــ أستاذ انور هل جربت أشكالا شعرية غير الشكل العمودي ؟

× ــ أجل يا عبد الكريم لقد نظمت الشعر في ألوان كثيرة ، ولكنها تستند الى التراث الشعري العربي ــ الوزن ــ فقد نشرت في مجلة الاديب عددا لا بأس بها مثل ــ الكوخ القديم ــ وكانت هذه القصائد حصيلة شعور موزع في داخلي ، متألم ومضيع ، ولهذا جاءت كأنها موجات موسيقية متلاحقة ، تهدأ حينا وتثور أحيانا أخرى ، وأؤكد أنني مرتاح اليها ، ومعتز بها تماما ، فهي تصور حقبة متأججة من حياتي الملأى بالانفعالات المضطربة .

ــ استاذي : الحزن سمة بارزة في الشعر العربي عموما ، ولكنه في شعرك قد اصبح ميسما واضحا على شتى قصائدك التي قرأتها هل لذلك جذور في حياتك ياترى .. ؟

شرد بنظره قليلا ، وكأنه يتذكر الماضي ما لبث حتى تنهد وقال :

× ــ سمة الحزن بارزةوواضحة في شعري كله ، ولا أخفي عليك سرا اذا قلت أنني أستمتع بالالم كما يتمتع العاشق بمعشوقته او السكران بخمرته ، والرسام بالمنظر الخلاب . هذا الالم قد تغلغل في اعماق كياني ، انه يخلص لي في هذا العصر . انا لا أشكو من قسوة مادية والحمد لله ، ولا اسعى وراء الثراء ، ومع هذا فانا أتألم ، والشاعر بنظري اذا تجرد عن الصدق بطل ان يكون شاعرا ، وانما هو مهرج ، والجذور التي تسألني عنها ، ولا أعرف لماذا تبحث عن الجذور ــ عالقة في حياتي سارية في دمي وروحي ولا استطيع منها فكاكا . انها ملح طعامي ، ونشوة ذهني ، وليس لها سبيل سوى قدري الذي اعيشه ، فانا متألم ، وحسب نفسي ان يحركها الاسى حين اقول الشعر :

عائد أنت ياحبيبي بعد الهجر
قل لي : أعائد يا حبيبي ؟

أم ترى هدك الزمان
فأمسيت كقلب المحب نهب الخطوب

لا تدعني في بحر آلامي السوداء
يجتاحني ظلام الغروب

أنا في هذه الحياة غريب
آه ياليل من هموم الغريب

قلت ضاحكا لو قرأ الدكتور شاكر مصطفى هذه القصيدة الان لوضع تحت عنوانك مدمن الخمرة السوداء خطين احمرين .

ــ أبا علي ، حتى الان لم تنشر شعرك في ديوان، وتعارض في نشره كما سمعت . ؟ فما هي الدوافع والاسباب ياترى . ؟ وانت تدرك مصاعب التحقيق والجمع من جهة ، وريح الضياع من جهة اخرى .

× ــ شعري مبعثر هنا وهناك ، وبعضه ما يزال رهن المسودات في ادراجي . ومن المؤلم ان يكون رأيي في نشر الديوان ساخرا جدا ، فانا يائس ، ونافض يدي من الخلود الذي يسعى اليه كثير من المفكرين وسواء لدى نشر ديواني او لم ينشر ، يكفيني انني أشبع هذا النهم الروحي الذي يتآكل قلبي حين تلح علي احساساتي وابدأ في نظم قصيدة واذا رفضت ذات مرة فمرد ذلك الى كرهي الشديد للتجارة والشطارة في الطبع والتوزيع .

ــ اذا ما هو الشاعر .. وماهي القصيدة .. ؟

× ــ الشاعر هو المخلوق الذي امتلأ احساسا وعاطفة من فرعه الى قدمه انه الكائن الذي يحس بالكون كله في متناول يده وينقل هذا الاحساس بغناء تطلقه شفتاه . والقصيدة هي الغناء الذي يترنم به الشاعر وقد يكون هذا الغناء شجيا او ساخرا او ثائرا ولكنه على كل حال غناء القلب الذي لا يحتاج الى

قياسات هندسية أو حسابات جبرية . أو تفلسف في الزمان والمكان او المضمون والمحتوى . فكل هـذه الاشياء ثانوية ، لان الشعر العربي غناء أبدي،وسوف يبقى الشعر اغنية على ثغر الانسان مادام الانسان يحيا على هذه الارض .

ـ استاذ انور ، انت لم تبرح ـ السلمية ـ منذ ربع قرن على حد علمي ، وعندنا مثل يقول ـ اغترب تتجدد ـ فهل اقامتك الدائمة ذات اثر في شعرك ؟ .

× ـ انا لم ابرح السلمية ـ بسكون الميم ـ لانني احبها . ففيها تنسمت حلو النداءات ، وعايشت آبائي واترابي . وانني انعم بشعور الاستقرار في ربعها ويزداد هذا الشعور كلما تقدمت في السن . انها المدينة التي أحبها أبو الطيب المتنبي ، وعاش فيها ردحا من الزمن ديك الجن وكذلك البحتري ، وقد الهمتني كثيرا من الشعر الذي لولاها لما تيسر لي مثله ابدا . وعدم مبارحتي لا يؤثر اطلاقا على الصور الشعرية التي أثبتها في قصائدي ، ان الشاعر وحده كون واسع وهو يستطيع ان ينتقل في هذا الكون كما يرغب ويهوى .

ـ أبا علي ، رتل الشعراء الذي تدرب على يديك طويل ، فما هي نصائحك للواعدين في دوحة الشعر .

× ـ انصح الواعدين في دوحة الشعر بقراءة الشعر العربي قراءة عميقة وافية وان يتفهموا اسراره بدء من امرىء القيس وحتى بدوي الجبل . ففي هذه القراءة والفهم والحفظ قوة ادبية لا يستهان بها ، وعليهم الا يتسرعوا النشر فيما يكتبون . عليهم ان يتمهلوا قليلا ، ويكابدوا التجربة الشعرية بكل ابعادها ريثما تستقيم ملكتهم،وتتقوى اجنحتهم على الطيران . فالاديب الحقيقي هو الذي يشق طريقه دائما وابدا وفي قوة دافعة ، واحب ان الفت نظر هؤلاء صوب الاداب الاجنبية سواء باللغة الاصلية او المترجمة . لان المطالعات تلقح الادب بعطاءات المعاصرة العالمية وتكسبه رونقا وتلوينا .

ـ لقد ورد في مجلة الاذاعة والتلفزيون وصحيفة الفداء وفي حوارين اجرى الاول مروان صواف والثاني نزار نجار على لسان الشاعر ابي ريشة ما نصه ـ ابو تمام والبحتري وغيرهم .. مداحون .. متسلقون .. يجب على الشاعر الا يتخلى عن كبريائه .. ـ وانت أحد المعجبين به فما رأيك بهذا القول .

× ـ اذا كان ما ورد في الحوارين صحيحا ، فأحب ان اقول للاستاذ أبي ريشة ـ وانا معجب جدا بشعره ـ لماذا ترى الشعرة في عين اخيك ، ولا ترى الخشبة في عينك . فأبو تمام مدح المعتصم الذي سمع نداء المراة الهاشمية حينما اعتدى عليها علج رومي . فصاحت وامعتصماه ، وعندئذ جهز جيشا جرارا وهاجم عمورية فأحرقها وحرر المراة وثأر لها . وقد جاء ذلك في شعر ابي ريشة نفسه ـ رب وامعتصماه انطلقت .. ـ كما ان المتنبي مدح سيف الدولة الحمداني ، وكان حامي الثغور العربية ودرع الامة العربية من هجمات الروم . بينما انت ـ يا ابا ريشه ـ مدحت احد الملوك بقصيدة يبلغ طولها كيلو مترا . فهل انت مداح متسلق ام لا .. ؟

هؤلاء مدحوا من كل يستحق المدح . وكانت العطايا سبيل المعيشة ، اما انت فقد مدحت من لا يستحق المدح ، وانت تعيش من الوظيفة . فما هو رأيك يا شاعري .. جميل جدا ان يتمهل شاعر كبير مثلك في قوله فلا يلقيه جزافا لكيلا يصيبه وجع رأس او صداع من شاعر درويش مثلي .

ـ هل لك مراسلات مع الشعراء العرب .؟

× ـ قليلة جدا ، وشخصية في اغلبها .

ـ لا تسألني يا عبد الكريم . اسمع هذه الابيات:

افنيت ايـامي ، فكـل حياتي
مزق مـــن الآلام والحسـرات
اشتاق للزمن السعيد ، كأنه
وعد الحبيب ورقة النسمـات

أين الصفاء . ؟ ولم اذقه هينة.
طال الحنين وادلجت خطواتـي

ياليل .. قل لي . كيف .؟ كيف
اضمه شفقا وكيف تذيبه قبلاتي

السلمية ـ عبد الكريم دندي



شوق

غازي الجندي

في خافقي شوق يضج يد مدم
يا حمص يا بلدي ذكرتك مغرما
انا شاعر والشعر همسة ملهم
في كل حرف من حروفي بسمة
هذي تعلمني وتلك تزيدني
زعموا بأني استطيع فراقكم
اهلي هنا واحبتي وعشيرتي
غن الهوى ما شئت غن فههنا
يكفيك ما عانيت مغلول الرؤى
حلق فاني زاحم بك انجما
وليشرب البحر البغاث وهرجهم
فالشعر حرف ازغب ، متميز
والراكبون رؤوسهم كي يصعدوا
للشعر درب غرسها عذب الجنى

ومشاعر في صمتها تتكلم
فتساقطت تملي الحروف الا نجم
اورفة من هدب ظمأى تحلم
سكرى وآه في الجوارح تحكم
هدب وثغر كيف لا اتكلم
يا من احب اتيتكم • وليزعموا
ياشعر ويحك كيف لا تتكلم
تعطى نصيبك كاملا لا تتكلم
حتى ظننت بأن ومضك معتم
ما طالها الا الاصيل الملهم
إنا سقنبني شامخا ما هدموا
يغنيه لحن عبقري انغم
قفزا تناسوا انهم لن يسلموا
للمبدعين وللطحالب علقم

صور ورؤى من عالم رامبو

فواز حسين

عندما نقرأ شاعرا كبيرا مثل ـ رامبو ـ امتدت اليه يد المنون ولجمت لسانه قساوة الحياة ، وهو لا يزال في منتصف الطريق ، فلا بد ان يغمرنا الاسى ، ولا بد ان تتولد في اعماقنا قشعريرة مبهمة غامضة .

وعندما نرافق روح ـ رامبو ـ المتعطشة دائما الى الحرية ، في رحلاتها وتهويماتها عبر عالم الرؤيا والاشراقات فلا بد ان تكتسي قصائده حللا قشيبة يشيع شبح الموت والاخفاق من بين مقاطعها ، وتنساب الموسيقى الجنائزية الحزينة من بين كلماتها المعجونة بالالم الانساني المتفاقم .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى اذا كان رامبو الشاعر مجالا لدراسات ادبية نقدية واسعة ، وميدانا فسيحا للبحث الادبي ، فانه في نفس الوقت يقدم من نفسه مادة خصبة وشريحة ممتازة لدراسات نفسية عميقة . وبما انه يصعب الفصل بين رامبو الشاعر ورامبو الانسان ، فلا بد لمن اراد سبر مجاهيل الشاعر او غزو عالمه الغامض من التعرض بشيء من التفصيل لحياته ، ولا سيما لمرحلة الطفولة منها لما تركت من تاثير بالغ على بقية مراحل حياته .

ولد ـ ارتير رامبو ـ في مدينة ـ شارل فيل ـ في شمال فرنسا عام ـ ١٨٥٤ ـ . ولم يحظ بعطف الام وحنانها لان والدته كانت امراة شرسة عنيدة بخيلة ، تعامل اولادها تربية قاسية صارمة . وعندما دخل رامبو مدرسة المدينة ، لفت اليه منذ صغره اهتمام اساتذته وفضولهم لاسباب عديدة يأتي في مقدمتها نبوغه المذهل في مادة الشعر اللاتيني ، واعتناؤه المفرط بنظافة دفاتره وكتبه ، وحساسيته الزائدة وسلوكيته الشاذة التي انفرد بها بين كل زملائه في الصف ، فبينما كان كل زملائه ينغمسون في العابهم الطفولية ومرحهم العابث ، كان رامبو يمسك بيد اخيه ـ فردريك ـ وينزوي معه في ركن هادىء ليرمق زملاءه نظرات غريبة ، ويسخر في اعماقه من العابهم وضحكاتهم الطفولية العالية . وقد اولاه استاذ مادة البلاغة ـ جورج ازنبار ـ اهتماما بالغا في عام ـ ١٨٧٠ ـ

فقدر موهبته ونبوغه في ميدان الشعر ، وشجعه على المضي في كتاباته الشعرية ، وحاول توجيه موهبته الواعدة المتفتحة بما قدم له من كتب عن الادب الفرنسي ولا سيما عن البرناسيين . فانكب رامبو على المطالعة بشغف زائد وتأثر في هذه الفترة بالبرناسية والابداعية وقدم لهما قصائد عديدة . .

ولكن لم يظل ذلك الطفل الحالم على ما كان عليه من هدوء ومن رغبة في اغناء قريحته الشعرية بمطالعاته الكثيرة ، اذ لم يكن ذلك الهدوء ، في الحقيقة ، الا كالهدوء الذي يسبق العاصفة ، فما ان بلغ – رامبو – سن الشباب حتى تفجرت الاضطرابات الفكرية بقوة في اعماقه لتفيض آثارها ونتائجها على مفاهيمه وعلى سلوكيته في الحياة . فثار علنا على العلاقات العائلية التي تجمع الافراد في بوتقة الاسرة ، وهاجم الدين والقيم الخلقية السائدة ، دون أن يقيم أي وزن لعائلته المحافظة او لشعور اهالي بلدته المسيحيين . ولم يتوقف عند هذا الحد ، بل ثار على القوانين المدرسية . وترك المدرسة دون ان يعود اليها مرة اخرى ، على الرغم من نصائح استاذه – ازنبار – ومحاولاته المستمرة لاعادة الهدوء والاستقرار الى عالمه المتمزق .

وفي هذه الفترة الصعبة من حياته ، وقبل ذهابه الى باريس ، كتب قصيدته المشهورة – القارب النشوان – التي رفعته الى مكانة الشعراء الخالدين . وفي هذه القصيدة المؤلفة من مائة بيت من الشعر الموزون المقفى ، دل رامبو على نضجه الفني وعلى اصالة نادرة وتمكن تام من الفردات اللغوية والموسيقى الشعرية ، كما برهن على مقدرته الخارقة على الابحار في عالم الخيال الشعري . وهو في هذه القصيدة يعبر – بالرمز – عن تعطشه المزمن للحرية اللامتناهية ، وعن هوسه بفكرة الانعتاق من واقعية العالم الوضعية . فيتخيل نفسه قاربا شراعيا مل السفر في الانهار المقيدة بالضفاف ، فيناشد زرقة البحر اللامتناهي . وفي هذه القصيدة يصف رامبو بشكل ساحر يكتنفه الغموض والابهام استقبال البحر له ، ويصف عالم البحر باطناب ، دون ان يكون قد رأى البحر حتى ذلك العمر . وبذلك يظهر تأثيره الكبير بمغامراته الطفولية ، عندما كان يذهب الى النهر ليتأجج بثقله على قارب مشدود الى اليابسة .

لم يستطع رامبو البقاء في مدينة – شلرل فيل – التي رأى فيها صورة السجن ، فهرب الى باريس دون ان يقدم امتحانات المرحلة الثانوية ، ودون ان يحصل على بطاقة تخوله دخول العاصمة ، فأوقف وزج به في السجن ، ولكن تدخل استاذه في الوقت المناسب واخرجه من السجن واخذه الى بلدته لتعتني به عمته . ولكن روح رامبو الثائرة وحبه الجارف للمغامرات أقضا مضجعه ولم يتركاه يذق طعم الراحة والاستقرار ، فكتب الى الشاعر – فيرلين – في باريس ببعض قصائده التي ادهشت الشاعر القاطن في باريس والذي طلب منه ان يأتي في الحال للالتقاء به .

وهكذا تحقق حلم رامبو بالذهاب الى باريس ، عندما وصلته رسالة فيرلين في ايلول – ١٨٧١ – والتي يقول فيها : – تعالي ايتها النفس العالية العزيزة . . اني اتمناك . . اني انتظرك – . وبالتقاء الشاعرين تبدأ مرحلة جديدة في حياة كل منهما غلب عليها الفوضى والتشرد على ارصفة المدن الاوروبية . فقد ترك فيرلين زوجته مضحيا بها لاجل رامبو وسافرا الى بلجيكا وانكلترا حيث كتب رامبو قصائد من ديوانه – الاشراقات – وكتب فيرلين ديوانه – وجدانيات لا تعرف الكلمات – ولكن لم تدم هذه العلاقة طويلا بين الشاعرين ، اذ ان فيرلين لم يستطع ان ينسى زوجته – ماتيلد – فكتب لها من العاصمة البلجيكية ان تلحق به لتخلصه من الانحطاط الخلقي الذي آل اليه ، وكتب في نفس الوقت الى والدته يؤكد لها اصراره على الانتحار ان لم تلحق به زوجته . ولكنها لم تلحق به وتقع

المأساة اخيرا عندما يحتدم خلاف عنيف بين رامبو وفيرلين، فيطلق فيرلين وهو تحت تأثير الشراب رصاصتين على صديقه فيجرحه جرحا بسيطا ينقل على اثره الى المستشفى ، بينما تحكم المحكمة على فيرلين بالسجن عامين . وكان اخر لقاء للشاعرين في مدينة – شتوتكارت – في المانيا عام – ١٨٧٥ – ليفترقا بعد ذلك نهائيا وليتقلب بعدها فيرلين بين الايمان والضلال، وليتخلى رامبو عن السفر ليصبح تاجرا يعمل بالتجارة لحساب بعض التجار حتى اصيب بورم خبيث في ساقه نقل على اثره من افريقيا ، مكان عمله الى مرسيليا ، وبترت ساقه في المستشفى لكنه توفي بعد ذلك دون ان يستطيع الوصول الى تحقيق مثله الاعلى الذي ناضل لاجله سنوات طويلة من عمره القصير ، ومات رامبو في – ١٨٩١ – وبعد عدة اشهر من بتر ساقه ، ليدفن في مسقط رأسه .

بدأ رامبو كتابة الشعر وهو فتى في الخامسة عشر من عمره ، وترك الشعر وهو ابن العشرين ، اي ان كل عمره الادبي يتلخص في الاعوام الخمس من شبابه ، والتي تمثل بدورها الفترة التي اشتدت فيها براكين الثورة والتمرد في داخله ، وقد امضى رامبو الشطر الاعظم من هذه لسنوات بعيدا عن مسقط رأسه يكتب الشعر ويتسكع في العواصم الاوروبية باحثا لروحه المعذبة الحائرة عن الخلاص والانعتاق من نير الرتابة وواقعية العالم الوضيعة .

لقد تأثر رامبو في بدايته بالبراناسية والابداعية، ولكنه تخلى عنهما لينتقل بعد عامين من بدايته الى نوع جديد من الشعر . وقد طلب في رسالة له الى صديقه – ديمن – عام – ١٨٧٠ – ان يحرق كل قصائده الاولى بحوزته . بعد ذلك تبدء المرحلة الجديدة والهامة من حياة رامبو الشاعر والانسان : اذ يثور فيها على الاشكال والاطر التقليدية للقصيدة . ويرفض الصور الشعرية المألوفة المستهلكة . ويبدأ في نفس الوقت بالبحث عن الرؤى الدقيقة المشعة المتحركة ، وعن القصيدة الجديدة التي يتزاوج فيها الشكل واللون والتي تستحيل فيها الابيات الى مقاطع موسيقية ملونة . وهو في عمله هذا يطلق المجال للصور الشعرية كي تزدحم وتتكاثر ، لتتداعى وتتنافر ، ثم لتتمخض عن صور غامضة ملونة بالوان الاحاسيس والمشاعر . وتتجرد الالفاظ عن كل القيود لتنطلق باجنحة ملونة حيث تستحيل في النهاية الى سيمفونة من الالوان المتداخلة . وتكتسب الحروف في قصائد رامبو الوانا فحرف الالف اسود اللون ، وحرف الياء احمر اللون وحرف الواو أزرق اللون وهكذا تمتزج الالوان في الكلمات وتتحول القصيدة الشعرية الى لوحة اكثر ما يشد الناظر اليها هي الالوان . ولم يتوقف رامبو عند هذا الحد ، بل خلق الوانا جديدة ونسب الوانا معينة لاشياء تمتاز بالوان اخرى ، فالبحر مثلا في قصيدة – القارب النشوان – اخضر اللون وكذلك اللازورد . والحب الفاشل اشقر اللون .. – . هذا من ناحية الالوان ، اما من ناحية الموسيقى ، فان الشاعر يبحث عن القصيدة السيمفونية التي ينبغي أن تغمض لها العيون لتسمع كالموسيقى في جو نفسي لا تفسده صور الحسيات .وحتى يستطيع الشاعر ان يصل الى كل ذلك ، وجب عليه ان يثور على الاشكال التقليدية للقصيدة ، فتحرر من قيود القواعد والقافية فكان بذلك رائدا من رواد القصيدة الحرة والقصيدة النثرية .

تكلم رامبو عن ضرورة ايجاد لغة شعرية جديدة تستطيع مواكبة الفيضانات الحسية وتملك القدرة على ترجمة الاحلام الباطنية واللامرئيات ولحظات الاشراق الخاطفة ، و – تختصر كل الاشياء : الروائح والاصوات والالوان – .. فكانت اللغة التي اكتشفها غارقة في الغموض والذاتية حتى تعذر على كثير من النقاد ايجاد معان مقنعة وتفسيرات معقولة لها .

اضافة الى كل هذا ، فان رامبو يكثر من استعمال الكلمات الوحشية ويعيدها الى الفرنسية بعد ان يكسبها بريقها وقدرتها على التعبير والايحاء . ويكثر كذلك من الكلمات الغريبة الصعبة ويبالغ في استعمال التورية والصور البيانية الاخرى في قصائده.

وهو في كل ذلك ، يحاول ان يترجم احلامه الداخلية بافضل شكل ممكن ، انه يحاول باسلوبه الحديث أن يوقظ في باطنه اللاوعي قوى خفية ، ويسلط الاضواء الكاشفة على مناطق نفسه المظلمة المهجورة ليكتشف اسرار النفس ويصل بالنهاية الى الاستقرار الروحي والسعادة الحقيقية . وهو بعمله هذا يجعل من نفسه ايضا صدى للشاعر – بودلير – ومكملا له . فقد نادى بودلير بالارتفاع بالروح بعيدا عن واقعية العالم الوضيعة ، وطلب من الانسان ان يسبر اعماق الخصم ، في السماء او في اعماق الجحيم ، بحثا عن الجديد الذي يكمن فيه خلاص البشرية وقد اختار رامبو ان يسبر اغوار الجحيم ، وأراد باختياره هذا أن يعانق الكون باكمله ليتمثله اولا في ذاته وليصيفه بعد ذلك على شكل اخر . وهو في هذا ينافس الله دون أن يؤمن به ويحاول ان يصل الى

القوانين المتحكمة في الانسان ، ليستخدمها في عملية خلاصه من العبودية . ويستعيد القوى التي فقدها على مر السنين ، وهذا ما دفع بعض النقاد الى تسميته بـ ـ بروميثوس القرن التاسع عشر ـ .

وقد تجاهل الشاعر في بحثه المتواصل عن الحقيقة السامية كل الامور الدنيوية ، فلم يعمه بريق الشهرة وسخر من المادة ليفتح عينيه على عالمه الداخلي الغارق باللامرئيات والرؤى الشعرية ولحظات الاشراق الخاطفة . وقد عبر عن اهتماماته واهدافه في قصيدة ـ القارب النشوان ـ . .

كنت غير مبال بكل نوتية السفن
التي تنقل القمح الفلمندي
والقطن الانكليزي
عندما اخرس انسيابي نحو البحر
كل انواع الضجة
كانت الانهار تدعني
اسير نحو مبتغاي .

. . . .

وكان مفتاح الشاعر لدخوله عالم المجهول هو تمرده على شعوره المكتسب ، وذلك الخلل الذي اجراه على حواسه والذي قال في صدده : ـ لكي يغدو المرء شاعرا ، عليه أن يكون صاحب رؤى ، ولكي ولكي يستطيع ان يجعل من نفسه صاحب رؤى ، عليه أن يحدث في حواسه خللا بعيد المدى،ومعقولا ايضا ـ.

ولكن .. خابت آمال الشاعر وتحطمت . اذ لم يستطع ان يصل الى تحقيق مثله الاعلى .. ولم تعطه الحياة تلك الحرية اللامتناهية التي بحث عنها بتلهف زائد ، فسكت فجأة وكان سكوته المطبق موتا حقيقيا له .. كما كان لغرق ـ اوفيليا ـ نهاية لحياتها المعذبة ولبحثها المزمن عن الحرية :

حيث تنام النجوم على كتف
الموج الهادىء الاسود ،
تطفو ـ اوفيليا ـ البيضاء

مثل زنبقة كبيرة .

تطفو ببطء وهدوء ، وهي نائمة

في اورديتها الطويلة
وتأتي من الغابات البعيدة

اصوات ابواق الصيد المعلنة

عن وقوع الفريسة في ايدي الصيادين .
ويقبل الهواء صدر ـ اوفيليا ـ
وينشر على شكل تويج زهرة اورديتها الواسعة
التي تهدهدها بخمول مياه النهر
ويبكي الصفصاف المرتعش على كتفها
وتميس القصبات النهرية
على جبينها العريض الحالم .
آه يا ـ اوفيليا ـ الشاحبة !
ايتها الجميلة مثل الثلج
لقدمت ، طفلة ، وحملك النهر
ذلك ان الرياح التي هبت
من جبال نرويج العظيمة
كلمتك بصوت منخفض
عن الحرية القاسية الشحيحة

. . . . .

كان رامبو ثوريا في مجال الشعر كما كان ثائرا في مجال السياسة والاخلاق . واذا كانت الوداعة والهدوء صفتين ظاهرتين من صفات رامبو الطفل ، فان الهيجان والعنف صفتان من صفات رامبو الشاب الذي سعى بكل قواه الى تحرير الذات وتفتحها ، فصب جام غضبه على كل بيئة . وجدف في معتقده ودينه ، وثار على الاطر القديمة للقصيدة ، وطلب من الشعر ان يتحرر من كل القيود حتى يستطيع مواكبة رحلة الروح في عالم الاشراقات ، وفي تهويماتها في عالم اللاشعور وظلمات النفس .

لقد حرر رامبو القصيدة الفرنسية من القافية فكتب الشعر الحر والقصيدة النثرية . وكان بذلك زعيما من زعماء المدرسة الرمزية . كما كان رائدا من رواد المذهب السريالي ، اذ انه آمن بوجود قوى خفية في اعماق الانسان ، وان عليه ان يستعيدها ويحررها حتى يصل الى حياة تنتفي فيها التناقضات وتهيمن فيها السعادة الحقيقية .

وهكذا فقد استطاع رامبو خلال خمس سنوات ان يخلق حوله ما يشبه الاسطورة . وقدر ان يرسخ اقدامه كشاعر ملهم في قلب الادب الفرنسي ويصعد الى مستوى الشعراء الخالدين .

فواز حسين ـ عامودا

المراجـــع :

١ ـ تراث الانسانية ـ المجلد الثالث ـ العدد ـ ٦ ـ .
٢ ـ الادب الفرنسي ـ الموسوعة ـ منشورات دار ـ لاروس ـ.
٣ ـ أدب القرن التاسع عشر ، سلسلة نصوص وأدب . منشورات ـ بورداس ـ .

٤ ـ شعراء رمزيون وشعراء معاصرون لـ ـ سعد صائب ـ سلسلة زدني علما منشورات ـ عويدات ..

٥ ـ الرومانسية في الادب الفرنسي ـ ف . سولينيه ـ ترجمة احمد دمشقية ـ دار ـ عويدات ـ .
٦ ـ الرمزية والادب العربي الحديث .

قرأت في العدد الثاني عن

الأدب في المملكة العربية السعودية

مصطفى الخش

مرة اخرى ، ننشق ارج النبوة وعطر الاسلام ، في العدد الثاني الخاص بالادب في المملكة العربية السعودية والمتضمن شرائح جديدة في الشعر والنثر لكتاب وشعراء غير الذين قرانا لهم في العدد الأول ـ ماكنا لنسمع بهم لولا اريحية الاستاذ مدحة عكاش الذي اتاح لنا فرصة التعرف اليهم ، على صفحات مجلة ((الثقافـــة)) .

وبذلك طمس على التعتيم الذي كان قائما بشأنهم فمن غير اللائق الا يتعرف الادباء والمفكرون بعضهم الى بعضهم الاخر ان لم يكن بالتلاقي ، فلا اقل من تداول الاسماء فيما بينهم ومعرفة حصيلة كل منهم من الانتاج حتى اذا قيض لهم الاجتماع ـ احدهما مع الاخر او بعضهم مع البعض الاخر ـ فلا يشعرون بالغربـــة والتنائي وانما يلتقون بغير حجاب على صعيد الروح والمعرفة ، وعندئذ يكون كل منهم عالما بما عند الاخرين من علم و فكر و فن .

لقد تلالات في العدد الاول اسماء ـ طالما دوت في سماء الادب والمعرفة ـ كما برزت اسماء في العدد الثاني ، لايقل اصحابها جودة في الكم والكيف . . .

المهم ان هذه الاسماء جملة توضح سمات النهضة الفكرية والادبية في القطر السعودي الشقيق وهـــي سمات بارزة المعالم تواكب مسيرة النهضة في سائـر الاقطار العربية ، وتبشر بالخير العميم .

نافلة ان اقول : ان الادب العربي مدين للحجاز ونجد بالظهور : القرآن شع نوره في الحجاز .. وقبله ، كانت سوق عكاظ مرتعا للوافدين اليها من اصحاب المعلقات وكبار شعراء الجاهلية ، من مثل امرىء القيس وزهير بن ابي سلمى ، والنابغة ، وعمرو بن كلثوم والمهلهل ، وكليب

وهكذا فان نجدا والحجاز بلدان توحدت فيهـــما المشارب والغايات واليها يعود الفضل فيما اصابنا من معارف ، فالمعلقات ابجدية الشعر ، والقرآن ابجدية النثر وحارس اللغة العربية الامين .

وليس بدعا ان تكون الاصالةديدن الادب السعودي الحديث طالما ان بذور هاتين الابجديتين نبتت في ارضه وقد زرعها السعوديون الاوائل فاينعت وطاب قطافها على مر السنين ... وانهم لاساتذتنا ونحن التلاميذ .

١ ـ في المقالــة

في العدد الثاني تميزت المقالات الثلاث بالجـودة ايضا في الشكل والمضمون ، وقد انتفعت بها أيمـا انتفاع . وكلها تشير الى طول باع أصحابها في مضمار الثقافــة والادب .

أ ـ بتحليل واف ، بحث الدكتور غازي القصيبي ـ وزير الصناعة والكهرباء ـ قضايا عدة في مقالته الاولى ، تحت عنوان « هل للشعر مكانة في القـرن العشرين ؟ ـ وهي محاضرة سبق ان القيت في نادي الطائف الادبي » .

وبالصواب ، عرف الالتزام في الشعر بما يلي : « ان أي شعر حقيقي لابد وأن ينبع من الذات ، ولكنه في الوقت نفسه لابد وان يتجاوز حدود الذات » ...
وحكم بالجناية على الحرب الدائرة بين الشعر القديم والشعر الحديث وقد قام بدور الوسيط فجزم بان الشعر القديم باق والى جانبه ـ شعر التفعيلة ، بعض الشيء ولكنه يبقى وثيق الصلة بالشـعر التقليدي تربطهما روابط الاخوة ووشائج العائلة الواحدة » .

كما انه أرخ لمنزلة الشعر في الجاهلية وفي العصر العباسي والقرن العشرين وعن هذا الاخير قال : « ان الشعر العربي رغم معالجتـه المتكررة لقضـايـا السياسة والاجتماع ، لم يستطع أن يكون عاملامؤثرا في مسار المجتمع العربي المعاصر » ولكنه أبدى تفاؤله فحض الشاعر ان يحاول ويكرر المحاولـة ليفرض نفسه على المجتمع .

ب ـ بين الدكتور ابراهيم الفوزان في « اضواء على الادب الحديث في الحجاز » ان مرحلة الانطلاق التجديدي بدأت عام ١٩٥٣ بزعامة الشاعر محمد حسن عواد ـ وهو الرداد الاوائل في الشعر الحر لقصيدة قالها عام ١٩٢٤ ، ورمز اليها في شعره :

من هنـا شع للحقيقة فجـر

مـن قديم ومـن هنا يتجـدد

ج ـ وأما المقالة الثالثة فهي بعنوان « حاجتنـا الى الثقافة البيئية » للدكتور عبد العزيز ابو زنادة ، الذي تناول فيها تعريف هذه الثقافة بأنها « عمليـة التعرف على القيم وتوضيح المفاهيم » مشيرا الـى ضرورة التبصير والفهم الكامل للبيئة التي تتأثر بجملة عمليات وهي في العدد اربع : العمليات الصناعيـة المدنية والعمليات الزراعيـة والعمليات الفرديـة .

٢ ـ في الكتب

ساهم كتاب سـوريون في تعـريف بعض الكتب الصادرة عن المملكة السعودية ، فأشار الشاعر خليل خلايلي الى أهمية المجلدين الضخمين بقلم العلامـة السعودي أمين مدني ، تحت عنوان « التاريخ العربي ومصادره » و« التاريخ العربي وجغرافيتـه » . وفي المجلد الثاني مسح للجزيرة العربية التي تشمل كافة بلاد الهلال الخصيب وجزءا من مصر .

وثمة تعاريف اخرى لكتاب « محرر الرقيق » تأليف محمد حسن عواد ـ وهو بحث تاريخي عن الخليفة سليمان بن عبد الملك ـ وكتاب « من احاديث السمر » لعبد الله بن خميس ـ وهو مجموعة قصصية ـ وكذلك لديواني شعر « معركة بلا راية » و « قطرات من ظمأ » للشاعر الدكتور غازي القصيبي .

٣ ـ في القصــة

القصتان : « الظمأ » لعبد الله جفري و « العودة » لفؤاد عنقاوي من القصص العصرية الجيدة وتليها : « وضاعت في الزحام » لمحمد منصور الشقحاء و« العبرة » لابراهيم الناصر الحميدان ، وهما اقرب الى الكلاسيكية والسرد .

وليس أحلى من أن يصف عبد الله جفري شريكـة حياته التي يريدها : « هو يبحث عن انثى لا تتخلف في شعوره جثة بعد شهور هو متعب جدا حتى الهلاك ولا يعثر على انوثة تتمتم بالفهم وتعزفه ... العالـم مليء بالنساء الفترينات ... جمال يهمل ... أمـا الوعي في الحس بورصة ... النتيجة فيها غالبا هي الخسارة ... » .

٤ ـ في الشــعر

ارتفع مستوى الشعر في هذا العدد عن سابقـه وطبيعي ان يحافظ على القديم وان يدثر بالجـودة والاصالة أيضا . ولكنه يبقى غير جدير باحفاد أصحاب المعلقات ، وبديهي ـ ونحن في مهبط الوحي ـ أن يكون متأثرا بالبيئة من حيث الدين والتدين ، فها هو شاعر الشباب عبد الله بلخير ، يدل على الدنيا في مدح النبي العربي بقصيدة عنوانها « محمد رسول الله » يقول فيها:

شرقي ياسـماء ويا أرض صلي

ولدت امـة الحضارات فينا

ومن مختارات الدكتور غـازي القصيبي نشرت قصيدتان : ـ اماه ـ و ـ احبك ـ . والقصيدة الاولى من أجود ما قيل في الام ، يسكب فيها الشاعر ذوب عاطفته نحو امه التي افتقدها في حين تشتعل الغيرة في حبه بالقصيدة الثانية ازاء محبوبته .

والطريف انه مع بوحه بغيرته الشديدة يقسم انه لا يغار . ذلك أنه – وهو الاديب الاريب – يعلم أن الغيرة من رواسب التخلف ، وهو يبرأ بنفسه أن يكون من المتخلفين ، ولذلك كان هذا القسم :

اغار عليك اقسم لا اغار

ويدري الكون أجمع كم أغار

★ ★ ★

عاشق دمشق

ذكرت في تقييم العدد الاول أن الاستاذ عبد العزيز الربيعي عاشق المتنبي ، واضف هنا ان عثمان بن سيار عاشق دمشق – دمشق في جناتها وحورها – وله فيها قصيدتان بعنوان : – درة أوطاني – و – بنت الشآم – ، والدليل قوله :

دمشق يادرة أوطاني

ياجنة الملهوف والعاني

ياغيل آساد اذا هرجمت

يوما ويا ملعب غزلان

ومن العاشقين ايضا أحمد الصالح : هو ايجابي ويكره السلب وما دري أن في السلب والايجاب تولد الكهرباء ، وقد انتقيت من قصيدته – اعيذك – هذا البيت :

اعيذك من اثم الصدور وظلمة

ومن رحلة النسيان عبر مشاعري

– في الشعر القومي –

محمد العيد الخضراوي ومحمد هاشم رشيد ، شاعرا القومية العربية وينطقان بأشجانها ، ثم انهما يلهبان النفوس حماسا ولكن أين النفوس وقد صدق من قال :

لقد أسمعت لو ناديت حيا

ولكن لاحياة لمن تنادي

وغير خاف أن محمد العيد في – عيد الاحزان – قد تأثر بابن الرومي في مرثاته للبصرة ، حين فتك بها الاعاجم ويكاد ينطق بلسانه حين قال :

اي عيد لامة طعنتها

في كراماتها حراب العناء

كيف بغفي عيوننا وحمانا

مرتع للشرور والدخلاء

نحن نحيا على فتات قديم

حافل بالفخار والعلياء

والحل عنده : الدم والرجوع الى الدين :

نبعث الفجر ساطعا يعربيا

يتندى بثورة الكبرياء

يكلأ الدين جانبيه وغضي

للذرى الشم للعلى للسماء

ومن الخير أن أقارب بيت – نحن نحيا – ببيت – نحن موتى – لشيخ الشعراء – بدوي الجبل – امد الله في حياته :

نحن موتى ، وشر ما ابتدع الطغيان

موتى على الدروب تسير

ولعلنا نطرق رؤسنا خجلا حين يداعب محمدهاشم رشيد طفله في قصيدته : – انا وابني والعيد – :

كم شدونا وهتفنا

بحماس للجزائر

ولكم نادت فلسطين

فما لبن مغامر

واكتفينا بالاناشيد

نحيي كل ثائر

دون أن نحيا مع الثوار

في قلب المجازر

٥ – الخلاصة

الان وقد اماطت مجلة الثقافة اللثام عن الادب في المملكة السعودية ، فليس احب الينا من ان نتابع مسيرته في تخصيص زاوية عنه في مختلف المجلات الادبية وسائر الصفحات الثقافية في الصحف اليومية لنشر مختارات من زياك الادب ابتغاء ان نرتوي من منهله العذب ، وفاء لاساتذتنا القدامى . . .
وبخ بخ للاستاذ مدحة عكاش ، ومن هم على شاكلته :

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم

ان التشبه بالكرام فلاح

مصطفى الخش